رجل المستحيل

ثعلب الثلوج

(٢٠)

المؤلف

د. نبيل فاروق

رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

٢٠

الثمن فى مصر

وما يعادل دولارا أمريكيا فى سائر الدول العربية والعالم

رجل المستحيل (٢٠) • ثعلب الثلوج • المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة •

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

• ثعلب الثلوج •

• ما سرّ شحنة اليورانيوم التى يتم تصديرها من مصنع خاص فى النرويج إلى دولة معادية ؟

• لماذا حشدت المخابرات المعادية أشرس أفرادها، للدفاع عن شحنة الدمار هذه ؟

• تُرى .. هل ينجح (أدهم صبرى) فى مواجهة خصومه ومنع تصدير شحنة الموت ؟

• اقرأ التفاصيل المثيرة ، لترى كيف يعمل (رجل المستحيل) .



لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ــ مهمة عاجلة ..

ألقى مدير المخابرات المصرية للمرة العاشرة ، نظرة مستفيضة على التقرير الموضوع أمامه من ورقة واحدة ، وعاد يقرؤه بإمعان ، وهو ينقر بأطراف أصابعه على سطح مكتبه فى توتُّر وقلق واضحين ، ولم يلبث أن ضغط على زرّ جهاز (الدكتافون) الموضوع إلى جواره ، وقال بعصبية وضيق :

ــ ألم يصل المقدم (أدهم صبرى) بعد ؟

أجابه مدير مكتبه :

ــ نحن فى انتظاره يا سيِّدى .. لقد عاد مساء أمس فقط من الولايات المتحدة الأمريكية ، بعد أن أنهى قضية شبكة الجاسوسية الخاصة بـ (چيمس براند) ، ولا ريب أنه لا يزال مستغرقًا فى نومه ، فنحن فى السادسة صباحًا .

تمتم مدير المخابرات بحنق :

ــ هراء .. إن (أدهم) يستيقظ فى الخامسة والنصف دائمًا ، حتى ولو أوَى إلى فراشه فى الرابعة .

ثمَّ صوت مدير مكتبه عن الارتياح ، وهو يتنهَّد قائلًا :

ــ ها هو ذا يا سيِّدى .. لقد وصل توًّا .

ثم أردف بلهجة تدل على الدهشة :

ــ وفى كامل نشاطه بصورة تبعث على الدهشة .

قال مدير المخابرات بلهفة ، قبل أن ينهى الاتصال :

ــ حسنًا .. حسنًا .. دَعْهُ يدخل فى الحال .

وما أن اعتدل فى مقعده ، حتى سمع صوت طرقات مهذَّبة على باب غرفته ، فصاح يدعو (أدهم) إلى الدخول ، ولم يكد ينطق بالكلمة ، حتى فتح (أدهم) الباب ، ودخل إلى الحجرة بهدوئه المعهود ، وعلى شفتيه ابتسامته الشهيرة ، التى تجمع ما بين الكثير من الثقة بالنفس ولمحة من السخرية .. وهو يقول :

ــ صباح الخير يا سيِّادة المدير .. لقد أرسلت فى طلبى .

أشار مدير المخابرات إلى مقعد قريب وهو يقول :

ــ اجلس أيها المقدم .. لدىَّ هنا مهمة عاجلة معقدة ، تحتاج إلى رجل من نوعك .

ثم تناول التقرير الموضوع أمامه ، وقال :

ــ لقد تلقَّيت فى الرابعة صباحًا ، تقريرًا عاجلًا غاية فى الخطورة ، من أحد عملائنا الموثوق بهم فى جنوب إفريقيا ، يقول : إن شحنة اليورانيوم قد تم شحنها إلى أحد المصانع الكبرى بمدينة (تروندهايم) فى (النرويج) ، بحجة استخدامها فى بعض الأغراض الصناعية ، ولكن واقع الأمر أنه سيعاد شحنها ، بعد تعبئتها فى علب الأسماك المحفوظة ، إلى أكثر الدول عداءً للعرب ، فى منطقة الشرق الأوسط ، لاستخدامها فى صنع واحد من أخطر أسلحة العصر الحديث .

ثم صمت لحظة ، وأردف قائلًا :

ــ القنبلة الذرية .

قطَّب (أدهم) حاجبيه ، وقال :

ــ وهل وصلت الشحنة إلى (النرويج) بالفعل ؟

هزَّ مدير المخابرات رأسه نفيًا ، وقال :

ــ ليس بعد يا (ن ــ ١) .. ولكنها ستكون هناك فى العاشرة من مساء اليوم بتوقيت القاهرة .

وتنهَّد بعمق قبل أن يستطرد قائلًا :

ــ ولابدَّ من منع وصول هذه الشحنة إلى تلك الدولة المعادية لنا بأية طريقة أيها المقدم .. لابدَّ من تدمير الشحنة على أرض (النرويج) .

نهض (أدهم) بهدوء ، وقال :

ــ متى سننطلق أنا والنقيب (منى) إلى (النرويج) يا سيِّدى ؟

تناول مدير المخابرات ملفًّا صغيرًا من جواره ، ناوله (أدهم) قائلًا :

ــ ليست لدينا إلَّا معلومات قليلة للغاية يا (ن ــ ١) .. اسم المصنع ، واسم صاحبه ، ومستورد الشحنة ، وسيكون عليك وزميلتك البحث عن باقى المعلومات اللازمة .. أما

عن موعد السفر فهو التاسعة والنصف صباحًا ، أى بعد ثلاث ساعات ونصف الساعة من الآن ، وستجد زميلتك فى انتظارك فى مطار القاهرة الدولى .

ثم مدَّ يده يصافح (أدهم) ، وهو يقول باختصار :

ــ وفقكما الله أيها المقدم .. أمن جمهورية مصر العربية بين أيديكما .

ابتسم (أدهم) وهو يقول بهدوء :

ــ لن يهتز أمن مصر يا سيِّدى .. أعدك بذلك .

* * *





٢ ــ تحت سماء النرويج ..

تطلَّعت النقيب (منى توفيق) بدهشة إلى قرص الشمس الأحمر الضخم فى الأفق ، وقالت وهى تهزُّ كتفيها بتعجب :

ــ يا إلٰهى !! إنها المرة الأولى التى أرى فيها قرص الشمس فى منتصف الليل .. لم يكن باستطاعتى حتى تصوُّر إمكانية حدوث ذلك !!

ضحك (أدهم) وهو يقول :

ــ ولِمَ يا عزيزتى ؟.. هذه واحدة من الظواهر القطبية الشمالية المعروفة ، التى تشتهر بها (النرويج) .. فدوران الأرض حول محورها يؤدى إلى وجود ستة أشهر من سطوع الشمس ، وأخرى من الغروب التام فى القطب الشمالى ، والدول الإسكندنافية مثل (النرويج) .. وهذه الظاهرة معروفة باسم (شمس منتصف الليل) .

عادت تهزُّ كتفيها بتعجُّب ، ثم ارتجفت وهى تتطلَّع عَبْرَ نافذة الغرفة ، إلى الثلوج التى تغطى كل شىء بالخارج ، وقالت :

ــ تصوَّر أن مجرد مرأى هذه الثلوج الكثيفة ، يبعث فى جسدى قشعريرة البرد ، برغم جوّ الغرفة الدافئ بسبب أجهزة التكييف .

هزَّ هو كتفيه هذه المرة ، وقال :

ــ مسألة تعوُّد ليس إلَّا ..

ثم أردف بجدِّيَّة واهتمام :

ــ والآن دعينا من الثلوج وشمس منتصف الليل ، ولنتحدث فى المهمة التى أسندت إلينا .

وضمَّ كفَّيه أمام وجهه مستطردًا :

ــ لقد وضحت التحرِّيات التى قمنا بها صباح اليوم ، أن هذا المصنع ملك لرجل أعمال نرويجى ، يدعى (فريدريك أبسن) ، فى الأربعين من عمره ، وأنه يقيم معظم العام فى (أوسلو) العاصمة ، وأنه من الشخصيات

المعروفة ، ذات السمعة الطيبة هنا ، ولا اكتمك القول إننى أشك فى تعامله مع رجال (الموساد) منذ فترة طويلة .

عقدت (منى) ساعديها أمام صدرها ، وهى تكمل قائلة :

ــ ولا تنس أن تحرِّياتنا قد أكدت وصول الشحنة بالفعل إلى المصنع صباح اليوم يا سيادة المقدم .

نهض (أدهم) وفتح حقيبته الصغيرة ليخرج منها علبة من الخشب ، وهو يقول :

ــ لا تشغلك هذه النقطة أيتها النقيب ، فتقسيم شحنة من اليورانيوم وتعبئتها فى علب الأسماك المحفوظة ، وإعادة شحنها إلى دولة أخرى ، يحتاج إلى وقت ليس بالقصير .

وبهدوء تناول من العلبة الخشبية مسدسه قصير الماسورة ، من النوع ذى الساقية ، ورفعه أمام وجهه وهو يقول بلهجته الساخرة :

ــ وفى هذه الأثناء سنعمل نحن على إبادة الشحنة ،

حتى لو اقتضى الأمر تحطيم مصانع (فريدريك أبسن) بأكملها .

* * *

داخل فيلَّا أنيقة للغاية على ساحل (تروندهايم) ، جلس رجل فى حدود الأربعين من عمره ، وسيم الملامح ، مستقيم الأنف ، مدبَّب الذقن ، رفيع الحاجبين ، واسع العينين ، أزرق الحدقتين ، ناعم الشعر أسوده ، إلَّا من الأجزاء الملاصقة لأذنيه ، فقد وخطهما الشيب بشكل زاد ملامحه وسامة وأناقة ..

كان يطالع بعض الأوراق بين يديه ، وقد وضع ساقًا فوق أخرى ، عندما اقترب منه أحد خدمه بزيِّه الأنيق ، وانحنى أمامه باحترام بالغ قائلًا :

ــ لقد وصلت الآنسة (سونيا جراهام) يا سيِّدى .

زيَّنت وجه (فريدريك) ابتسامة أنيقة ، وارتفع حاجباه وهو يقول :

ــ ادعها للدخول يا (چون) .. لقد كنت أنتظرها بفارغ الصبر .

لم تكد (سونيا) تخطو داخل الردهة الواسعة ، حتى قفز (فريدريك) واقفًا على قدميه ، وقد اتسعت عيناه دهشة ، وتدلَّت فكّه السفلى ذهولًا .. ولم يلبث أن تمالك جأشه بسرعة ، وأسرع نحوها يتناول كفّها الرقيق بين كفّيه وهو يقول مبهورًا :

ــ معذرة يا سيِّدتى .. لقد أدهشنى جمالك الساحر فى البداية .. فلم أتصوَّر مطلقًا أن تعمل فتاة باهرة الحسن والرقة مثلك فى مجال المخابرات .

صدمه صوتها الجاف القاسى ، وهى تقول ببرود :

ــ ومن أدراك أننى حقًّا (سونيا جراهام) ؟

تلعثم (فريدريك) ، وبدا الارتباك واضحًا فى صوته ، وهو يقول :

ــ لقد أخبرونى بقدومك مسبقًا .

زوَت ما بين حاجبيها ، وهى تجلس على أقرب المقاعد إليها ، قائلة ببرود شديد :

ــ ولكنهم لم يرسلوا إليك صورتى يا مستر (أبسن) .

تطلَّع إليها (فريدريك) بدهشة وهلة ، ثم تحوَّلت دهشته إلى ابتسامة عريضة ، وهو يضرب جبهته براحته قائلًا :

ـ معذرة يا عزيزتى .. لقد أنسانى جمالك المبهر إلقاء كلمة السِّر .

تراقصت ابتسامة ساخرة على طرف فمها الرقيق ، وهى تقول :

ـ هكذا !.. وما هى إذن ؟

همَّ (فريدريك) بنطق كلمة السِّر ، ثم توقَّف فجأة وزَوَى ما بين عينيه قائلًا :

ـ مهلًا .. لقد كان من المفروض أن تنطقيها أولًا .

انطلقت من فم (سونيا) ضحكة عالية ساخرة ، وتراجع رأسها الجميل إلى الخلف ، وهى تهزُّ ساقها بصورة تهكُّمية ، أثارت غضب (فريدريك) إلى درجة كبيرة ، فصاح فى وجهها فى حنق :

ـ كفَّى أيتها اللعينة !!



انطلقت من فم (سونيا) ضحكة عالية ساخرة ..

توقَّفت (سونيا) عن الضحك ، ونظرت إليه دون أن تفارقها ابتسامتها الساخرة ، على حين استطرد هو فى غضب :

ـ ينبغى أن تعلمى جيِّدًا أن هذه ليست الوسيلة الصحيحة للتعامل مع (فريدريك أبسن) .. لقد أردت استقبالك بصورة صحيحة ، احترامًا لتعاملى الطويل مع دولتك ، ولكنك أفسدت الأمر بأسلوبك السخيف المتغطرس .. وأنا لا أحب أن يعاملنى أحد بهذه الطريقة .. إننى مستعد لإلقاء الشحنة بأكملها فى البحر لو أن ....

قاطعته وهى تقول بصوت غاية فى الرقة :

ـ لِمَ كل هذا الغضب يا عزيزى (أبسن) ؟.. لقد كنت أداعبك فحسب .

توقَّف (فريدريك) عن الاستطراد فى عباراته الغاضبة ، وبدا وكأنه يزن الأمر فى عقله ، ثم لم يلبث أن لانت ملامحه ، وابتسم وهو يقول :

ـ مرحبًا بك فى (النرويج) يا عزيزتى (سونيا) .

افترَّ ثغر (سونيا جراهام) عن ابتسامة ساخرة ، وهى تقول :

ـ كيف حال شمس (النرويج) ؟

غمز بعينيه وهو يقول :

ـ لن تغوص فى البحر قبل ستة أشهر .

ضحكت (سونيا) برقَّة ، فقد تم تبادل كلمات السِّر ، ثم نهضت فجأة وهى تقول :

ـ سيكون من دواعى سرورى أن تجد لى فراشًا وثيرًا يا مستر (أبسن) .. فقد وصلت توًّا بعد رحلة شاقة ، وأحتاج إلى وقت طويل من الراحة ، حتى يمكننى التفكير بصورة سليمة .

تناول (فريدريك) كفَّها ، وانحنى يقبِّل أناملها الرقيقة بشكل ديبلوماسى ، وهو يقول :

ـ على الرَّحب والسعة يا عزيزتى .. منزل (فريدريك أبسن) بأكمله تحت أمرك ..

ابتسمت (سونيا) فى وجهه ابتسامة جذَّابة ، وما أن

استدار ليُنادى خادمه ، حتى تحوّلت ملامحها إلى الشراسة ، وتمتمت بصوت خافت إلى درجة غير مسموعة :

ــ سأتملّقك حتى يتم نقل الشحنة يا مستر (أبسن) ، وبعدها سأعلّمك كيف تعامل (سونيا جراهـام) ، أيها الوغد الأنيق .

* * *



٣ ــ فى مواجهة الخطر ..

تطلّعت (سونيا) بسعادة ، إلى الصندوقين الخشبيين الضخمين ، اللذين يحويان شحنة اليورانيـوم الواردة من جنوب إفريقيا ، ثم التفتت إلى (فريدريك) وقالت :

ــ الصندوقان مبطّنان بالرصاص يا مستر (أبسن) .. أليس كذلك ؟

أومأ برأسه موافقًا ، وقال :

ــ تمامًا كما سيحدث مع علب الأسماك المحفوظـة يا عزيزتى (سونيا) .

ابتسمت فى وجهه ابتسامة مغرية ، وهى تداعب رباط عنقه قائلة :

ــ هذا رائع .. سيزداد وزنها قليلًا ، ولكنها لن تنفذ أشعة المعدن الثمين يا مستر (أبسن) .. هل رأيت كيف تعمل مخابراتنا ؟ .. كل شىء مرسوم بدقّة بالغة .

همَّ (فريدريك) بالتعقيب على قولها ، ولكنَّ أحـد رجاله قاطعه ، عندما اقترب منه قائلًا :

ــ هناك رجل يصرُّ على مقابلتك يا سيِّدى ، وليس لديه موعد سابق .

قطَّب (فريدريك) حاجبيه ، وظهر الاهتمام على وجه (سونيا) ، وهى تسأل الرجل :

ــ ومن هذا الرجل ؟ .. ولماذا جاء ؟

أجاب الرجل :

ــ رجل أعمال مصرى يدعى (إبراهيم صفوت) ، يقول إنه جاء للتباحث بشأن استيراد الأسماك المحفوظة .

زَوَت (سونيا) ما بين حاجبيها بقلق ، وهى تقول :

ــ مصرى ؟ .. ولماذا الآن بالذات ؟

أشار (فريـــدريك) للرجـــل بالانصراف ، وسألها باهتمام :

ــ فيمَ تفكّرين يا عزيزتى ؟

هزّت (سونيا) كتفيها ، وقالت :

ــ لست أدرى ، ولكـن من المثير للشك أن يحضر مصرى لمقابلتك فى هذه الظـروف بالـذات .. إن هؤلاء المصريين ....

ثم بتـرت عبـارتها وهـى تعض على شفتيها ، فسألها (فريدريك) بقلق :

ــ هل تظنّين أنهم قد كشفوا الأمر ؟

هزّت كتفيها مرة أخرى ، وقالت :

ــ لست أدرى .. ولكن لى تجربة مريرة مع أحد ضباط المخابرات المصرية فى الولايات المتحدة ، لم يمض عليها أسبو ع واحد ..

سألها (فريدريك) :

ــ هل هزمك هناك ؟

قطّبت حاجبيها وهى تقول بحنق :

ــ إنه ليس رجل مخابرات عاديًّا .. إنه شيطان بشرى و ....

ثم هزّت رأسها وكأنها تنفض عنها التفكير فى الأمر ، وقالت :

دعْنا من هذا ، ولتذهب لمقابلة هذا المصرى ، فالشوق يتملّكنى لمعرفة الأمر الذى قدم بشأنه .

سألها (فريدريك) :

ـــ هل ستحضرين المقابلة ؟

ابتسمت ابتسامة ساخرة ، وهى تقول :

ـــ لا بالطبع .. ولكننى سأختلس النظر والسمع فى غرفة السكرتيرة الملحقة بغرفتك .

* * *

زوى (فريدريك أبسن) ما بين عينيه ، وهو يتطلّع إلى زائره باهتمام وفضول .. كان رجلاً فى العقد الخامس من العمر كما تدل ملامحه ، وتجعيدات وجهه .. أسمر البشرة أشيب الشعر ، كث الشارب ، كثيف الحاجبين .. وعندما تحدّث خرج صوته من بين شفتيه أجشّ مبحوحًا وهو يقول :

ـــ مستر (أبسن) .. تسعدنى مقابلتك .. لقد حضرت من القاهرة خصيصًا ، للتفاوض معك ، بشأن استيراد الأسماك المحفوظة التى تنتجها مصانعك .

صافحه (فريدريك) بشكل رسمى ، ثم جلس خلف مكتبه صامتًا ، يتأمّل وجه الرجل قبل أن يقول :

ـــ ولماذا أسماك مصانعى بالذات يا مستر (صفوت) ؟

جلس الرجل ببطء يدل على إصابته بشىء من تصلُّب العظام ، وقال :

ـــ لا تبخس نفسك قدرها يا مستر (أبسن) .. إن شهرة أسماكك المحفوظة تفوق الوصف .

ابتسم (فريدريك) ابتسامة واثقة ، واستكان فى مقعده ، وبدأت لهجته تكتسى بالودّ ، وهو يقول :

ـــ حسنًا يا مستر (صفوت) .. إن هذا يسعدنى بالفعل .. كم طنًا يمكنك التعاقد بشأنها ؟

ابتسم (إبراهيم صفوت) ، وقال :

ـــ هذا الأمر يحتاج إلى أكثر من زيارة واحدة يا مستر (أبسن) ، المهم هو موافقتك المبدئية على التعامل معى .

لم يكد (إبراهيم صفوت) ينصرف بعد انتهاء التباحث ، حتى فتحت (سونيا) الباب الموصل بين مكتب (فريدريك) وسكرتيرته ، ودخلت إليه قائلة :

ـــ كيف وجدته ؟

أشار (فريدريك) بذراعيه إشارة ذات معنى ، وهو يقول :

ـــ رجل أعمال مصرى .. صدّقينى يا عزيزتى (سونيا) .. إنه رجل لا غبار عليه .

ابتسمت (سونيا) بمرارة وسخرية ، وهى تقول :

ـــ لا غبار عليه ؟! .. يا لك من أحمق يا مستر (أبسن) !!

نظر إليها (فريدريك) بحنق صائحًا :

ـــ ماذا تعنين أيتها الـ ....

قاطعته وهى تشير إلى باب مكتبه ، قائلة بحنق أشد :

ـــ كُفّ عن غطرستك هذه يا مستر (أبسن) .. إن زائرك هذا لن يخدعنى ، حتى ولو كان إمبراطور التنكُّر فى العالم .

نظر إليها (فريدريك) بدهشة وتساؤل ، فاستطردت بغضب :

ـــ إن هذا الرجل ما هو إلّا ضابط مخابرات مصرى .. إنه ذلك الشيطان الذى كنت أتحدّث معك عنه منذ لحظات .. إنه (أدهم صبرى) .

* * *

٤ ـــ واندلعت النيران ..

تأمَّلت (منى) (أدهم) بإعجاب وهو يزيل تنكُّره، وقالت :

ـــ يراودنى فى بعض الأحيان ، أن براعتك المذهلة فى فنِّ التنكُّر ، لها الفضل الأوَّل فى نجاحك الدائم يا (أدهم) .

ابتسم (أدهم) ابتسامة ساخرة ، وقال :

ـــ عجبًا .. لقد نجحت فى كثير من المهام ، دون أن أتنكَّر مرة واحدة يا عزيزتى .

ضحكت بمرح وهى تقول :

ـــ حسنًا .. إننى أستسلم .. لن أنجو أبدًا من سخريتك اللاذعة .

وقبل أن يتهكَّم على عبارتها دقَّ جرس الهاتف ، فأسرع يتناوله وهو يحوِّل صوته ببراعة مذهلة إلى صوت (إبراهيم صفوت) الأجش المبحوح قائلًا :

ـــ هنا (إبراهيم صفوت) .. من المتحدث ؟

جاءه صوت (فريدريك أبسن) مرحًا يقول :

ـــ هاللو مستر (صفوت) .. لقد بحثت أمرك مع معاونىَّ جيِّدًا ، وقرَّرت أن أوقِّع معك العقد على الفور ، نظرًا لارتباطى بسفر عاجل إلى (سويسرا) .. هل لك فى الحضور إلى مكتبى فى الحال ؟

صمت (أدهم) لحظة زَوَى فيها حاجبيه ، ثم افترَّ ثغرة عن ابتسامة ساخرة ، لم يظهر أثرها فى صوته وهو يقول بهدوء :

ـــ بكل سرور يا مستر (أبسن) .. إن ذلك يسعدنى للغاية .

دلَّت لهجة (فريدريك) على الانتصار ، وهو يقول :

ـــ رائع .. سأنتظرك بعد نصف ساعة تمامًا .

وما أن وضع (أدهم) سماعة الهاتف ، حتى أخرج مسدسه من جيب سترته يتأكد من حشوه ، وهو يقول بسخرية :

ـــ يبدو أنه هناك لعبة تعدُّ لإيقاعنا أيتها النقيب .

سألته (منى) بقلق :

ـــ ماذا تعنى ؟

أجابها وهو يعيد مسدسه إلى سترته بهدوء :

ـــ إن (فريدريك أبسن) يريدنى فى مصنعه بعد نصف ساعة فقط ، ويدعى أنه سيسافر إلى (سويسرا) .. وهو لا يدرى أو يتظاهر بأننا لا نعلم شيئًا عن أمره ، وأنه مستحيل أن يغادر (تروندهايم) ، قبل أن ينتهى من أمر الشحنة .

قالت (منى) بقلق :

ـــ لن نذهب إذن .. أليس كذلك ؟

ابتسم (أدهم) ابتسامة ساخرة ، وقال وهو يضم قبضته أمام وجهه :

ـــ بالعكس يا عزيزتى .. إننى أحتاج إلى بعض النشاط .. ثم إننى أميل إلى اللهو هذا المساء .

وازدادت ابتسامته سخرية ، وهو يقول :

— ثم إنه لا يصح أن نصيب السيد (فريدريك) بخيبة الأمل ، بعد أن وضع خطته على هذا النحو .

* * *

تملّك القلق (منى) وهى تتطلّع إلى جانبى الطريق فى أثناء قيادة (أدهم) للسيارة ، فى الطريق الموصّل إلى مصنع (فريدريك أبسن) ، حتى سمعت (أدهم) يقول بسخرية :

— لا داعى للقلق أيتها الزميلة .. إنهم لن يهاجمونا فى الطريق العام .

سألته بحدّة :

— وأين تتصوّر مهاجمتهم لنا إذن ؟

أجابها ببساطة :

— عند وصولنا إلى الطريق الفرعى الخاص بالمصنع ، فهو محاط بالجبال الثلجية ، ويمكن لفيل ضخم الاختباء فيه .. أو داخل المصنع نفسه .

ولم يكد ينهى عبارته حتى انحرف إلى الطريق الجانبى ، قائلًا بتهكّم :

— ارتدى قفازيْك أيتها النقيب ، فربما تجبرنا الظروف على مغادرة السيارة ، وأنت تعلمين مدى برودة الجوّ خارجها .

وعلى ربوة قريبة نفث رجل ضخم بخار الثلج من بين شفتيه ، وهو يتطلّع من خلال منظار مقرّب ، وقال لرفيقه الواقف إلى جواره :

— لقد اختفت السيارة خلف تل ثلجى متوسط يا (چورچ) .

أجابه رفيقه ، وهو يضم ياقة معطفه السميك المصنوع من فراء (المنك) :

— لا عليك يا (هنريك) .. سرعان ما تبدو سيارتهما مرة أخرى بعد اجتيازها التل .. إن هذا الموقع مثالى للمراقبة .

قال (هنريك) بقلق :

— لقد طال الوقت ، والتل أقصر من أن تقضى السيارة كل هذا الوقت للمرور به .

شعر (چورچ) بالقلق يكتنفه ، وهو يقول :

— ناولنى هذا المنظار ، ربما عجزت عن تمييز سيارتهما البيضاء وسط الثلوج التى تغطّى كل شىء .

تناول (چورچ) المنظار المقرّب ، ووضعه فوق عينيه ، ودار به يفحص المكان بسرعة ، ولم يلبث أن زوى ما بين حاجبيه قائلًا فى توتُّر :

— اللعنة !! أتبخرت السيارة ؟.. أم ذابت وسط الجليد ؟

قال (هنريك) بتردُّد :

— هل نلقى نظرة عن قرب يا (چورچ) ؟

صمت (چورچ) مفكّرًا ، ثم أزاح قطرات الثلج التى تجمّدت على أطراف شاربه ، وقال :

— يبدو أننا سنضطر إلى ذلك يا (هنريك) ، فأوامر مستر (أبسن) تقضى بالتخلّص من الرجل بأية وسيلة .

قبض كل منهما على مقبض مسدسه الضخم بحرص ، وأخذا يهبطان التل الجليدى بحذر ، ثم اقتربا بهدوء من التل ، وأشار (چورچ) إلى صاحبه قائلًا :

— سيدور كل منا حول التل من اتجاه مختلف عن الآخر ، حتى يمكننا مفاجأتهما .

لم يعترض طريق أحدهما شىء ، وسرعان ما تلاقيا بجوار السيارة البيضاء الساكنة والخالية ، فتطلّعا إليها بدهشة وحيرة ، وقال (هنريك) وهو يلتفت حوله :

— أين ذهب العجوز والفتاة بحق الشيطان ؟

هزّ (چورچ) كتفيه بحيرة ، وهو يتطلّع حوله بدوره قائلًا :

— فلأذهب إلى الجحيم ، لو كنت أستطيع إجابة تساؤلك .

ثم أشار فجأة إلى (هنريك) أن يصمت ، وعاد يشير بسبّابته إلى حذاء حريمى صغير ، يظهر طرفه من خلف تل ثلجى قريب ، وهمس :

— يالغباء هذه المرأة !! تختفى وسط الثلوج بحذاء أحمر يشبه بقعة من الدم ، فوق صفحة بيضاء ناصعة !!

واقترب كلاهما بحذر ، وقد أعدّا مسدسيهما للإطلاق ، وما أن أصبحا على قيد خطوات من الحذاء ،

حتى قطَّب (چورچ) حاجبيه بغضب ، وقال بحنق :

ــ اللعنة !! إن هذا الحذاء خال تمامًا .

وانتفض جسده بغتة ، عندما سمع صوتًا هادئًا ساخرًا من خلفه يقول بتهكُّم :

ــ وماذا كنت تنتظر إذن يا ملك الأغبياء ؟

استدار الرجلان بحدّة وسرعة تلائم محترفين مثلهما ، وقد استعدت سبَّابتاهُما للضغط على الزّناد ، ولكن هيهات .. فغريمهما ليس رجلًا عاديًّا .. إنه (أدهم صبرى) الملقب بـ (رجل المستحيل) .

* * *

لا يمكن الجزم بأن أحد الرجلين قد ميَّز ملامح خصمه .. فقبل أن تكتمل استدارتهما ، كانت قدما (أدهم) قد أطاحتا بمسدسيهما ، فى قفزة رائعة ، ثم توجَّهت قبضة (أدهم) اليمنى كمطرقة فولاذية ، لتهشم أنف (هـريك) ، واندفعت يسراه كالقنبلة فى معدة (چورچ) ، أعقبتها يمناه كالصاعقة تحطِّم فكّ هذا الأخير

فقبل أن تكتمل استدارتهما ، كانت قدما (أدهم) قد أطاحتا بمسدسيهما ، فى قفزة رائعة ..

بصوت مسموع ، اختلط بآهة مكتومة ، ندَّت من شفتى (چورچ) قبل أن يهوى على الجليد فاقد الوعى ، على حين ترنَّح (هنريك) ، وحاول رفع كفّه إلى وجهه ، لمسح الدماء التى اختلطت بقطرات الثلج حول أنفه المهشم ، ولكن قبضة (أدهم) الحديدية ألصقت كفَّ (هنريك) بوجهه ، وفتّتت عظام فكّه ، وأرسلت به إلى عالم اللاوعى .

مسح (أدهم) الدماء من قبضته بهدوء ، وهو يقول ساخرًا :

ــ حسنًا .. المرء يحتاج إلى بعض النشاط من آن لآخر .

ابتسمت (منى) وهى تتطلَّع إلى الرجلين ، قائلة لـ (أدهم) :

ــ لقد ساعدك معطفك الأبيض على التخفِّى وسط الثلوج يا سيِّادة المقدم .

ضحك (أدهم) بسخرية ، وولج إلى سيارته قائلًا :

ــ دعابة جيدة أيتها النقيب .. أسرعى بركوب السيارة حتى لا نتأخَّر عن موعدنا مع السيد (أبسن) .

سألته (منى) بدهشة :

ــ هل ستذهب لمقابلته بعد ذلك ؟

هزَّ كتفيه وهو يقول ساخرًا :

ــ ولم لا ؟ .. مادمت قد وعدته ، فلابد لنا من الذهاب .

ثم أردف بعبث :

ــ إننى أهوى مشاهدة علامات الخيبة على وجوه أعدائى .

* * *





٥ ـ رصاصة الموت ..

انتفض (فريدريك أبسن) فى مقعده ، وهو يصيح فى وجه سكرتيرته بدهشة :

ـ ماذا ؟! .. هل وصل مستر (صفوت) إلى هنا حيًا ؟ .. أقصد هل وصل فى موعده ؟

أجابته السكرتيرة بدهشة مماثلة :

ـ نعم يا سيِّدى ، وهو ينتظر فى غرفتى حتى تسمح له بالدخول ، وبصحبة سكرتيرته .

التفت (فريدريك) إلى (سونيا) ، وسألها بدهشة :

ـ كيف أمكنك استنتاج ذلك ؟ .. كيف جزمت منذ دقيقة واحدة أنه سيصل سليمًا فى موعده ؟

ابتسمت (سونيا) بدهاء ، وقالت :

ـ لدينا ملف كامل عن هذا الشيطان يا مستر (أبسن) .. ومن العسير تصوُّر مهاراته وقدرته ، ما لم يتعامل معه المرء شخصيًا .

ثم التفتت إلى سكرتيرة (فريدريك) ، وقالت بلهجة آمرة :

ـ دَعِيه يدخل وسكرتيرته .. وثقى أن رؤيتى ستكون مفاجأة له .. آخر مفاجآت حياته .

* * *

لم يكد (أدهم) و (منى) يخطوان إلى داخل حجرة (فريدريك أبسن) ، حتى تراجعت (منى) خطوة إلى الوراء ، واتسعت عيناها دهشة وذعرًا ، على حين ابتسم (أدهم) بسخرية وضحك ، وهو يقول :

ـ مرحَى يا عزيزتى (سونيا) .. هل سمحوا لك بالعمل مرة أخرى ، بعد هزيمتك الساحقة فى (تكساس) ؟

اتسعت عينا (سونيا) دهشة على الرغم منها ، وهى تصوِّب إليهما مسدسًا ضخمًا تدور أصابعها حول مقبضه بصعوبة ، وقالت :

ـ عجبًا .. إنك لم تحاول حتى التظاهر بالعكس يا مستر (صبرى) ، برغم أنك متنكِّر ببراعة فائقة .

هزَّ (أدهم) كتفيه ببساطة ولا مبالاة ، وهو يقول :

ـ ولِمَ يا عزيزتى (سونيا) ؟ .. إننى لا أحب إضاعة الوقت فيما لا يفيد ، وكلانا يعلم جيِّدًا أنك الوحيدة فى مخابرات دولتك ، القادرة على تعرُّفى مهما تنكَّرت ، بسبب شكل أُذنىَّ .

ثم التفت إلى (منى) قائلًا بسخرية :

ـ ذكِّرينى حتى أخفى أذنىّ فى المرة القادمة يا زميلتى العزيزة .

رفعت (سونيا) حاجبيها إلى أعلى ، وقالت :

ـ أنت متفائل للغاية يا مستر (أدهم) .. أؤكد لك أنه لن تكون هناك مرة قادمة .

ابتسم بتهكُّم ، وقال وهو يعقد ساعديه أمام صدره :

ـ ومن يضمن ذلك يا صغيرتى ؟

صوَّبت (سونيا) مسدسها إلى صدره ، وقالت بعزم :

ـ رصاصات مسدسى تضمن ذلك ، أيها الشيطان المصرى .

تكلَّم (فريدريك) لأوَّل مرة منذ دخول (أدهم) و (منى) ، فقال بحنق :

ـــ لحظة يا (سونيا) .. إننى لا أسمح بقتلهما فى مكتبى .

ابتسمت (سونيا) بسخرية ، وقالت :

ـــ يا للرِّقة !! أتخشى رؤية الدماء ؟ أم أنك لا تحبِّذ فكرة القتل ؟

صاح (فريدريك) بعصبية :

ـــ إننى لا أحب إثارة المتاعب دونما ضرورة ، وأنت تعلمين أننى قد أرسلت (هنريك) و (چورچ) للتخلُّص منهما و ....

قاطعه (أدهم) ضاحكًا بسخرية وقائلًا :

ـــ هل تقصد السخيفين اللذين اعترضا طريقنا ؟ .. نسيت أن أخبرك أنهما فى حالة سيئة وسط الثلوج .

ضغطت (سونيا) على أسنانها وهى تقول لـ (فريدريك) ، الذى احتقن وجهه غضبًا :

ـــ هل رأيت نوعية هذا الشيطان المصرى ؟ ..

صدِّقنى .. الوسيلة الوحيدة للتخلُّص منه هى قتله دونما تردُّد ، ما دامت الفرصة سانحة .

رفع (أدهم) راحته أمام وجهه ، وهو يقول بسخرية :

ـــ لحظة يا عزيزتى (سونيا) .. هل تسمحين لى بخلع معطفى ؟

ومدَّ يده إلى معطفه كأنه يهم بخلعه ، ولكن (سونيا) صاحت بلهجة آمرة :

ـــ توقَّف يا مستر (صبرى) .. كُفَّ عن خداعك هذا .

ابتسم (أدهم) بخبث ، وقال :

ـــ هل تظنِّين أننى أعمد إلى خدعة ما ، عندما أطلب خلع معطفى ؟

قالت بصرامة وضيق :

ـــ بالتأكيد .

ضمَّ (أدهم) كفَّيه أمامه ، وقال بهدوء :

ـــ حسنًا يا عزيزتى (سونيا) .. لن أفسد متعتك ..

أطلقى النار على قلبى مباشرة .

صاحت (منى) فجأة .

ـــ كلَّا .. إننى أفضل الموت عن ....

وبترت عبارتها فجأة ، وتخضَّب وجهها بحمرة الخجل ، فانطلقت من فم (سونيا) ضحكة ساخرة عالية ، وقالت وهى تسدِّد مسدسها نحو قلب (أدهم) بإحكام :

ـــ يا للعاطفة الرقيقة !! إنها فرصة نادرة ، أن أجد نفسى أنا (سونيا جراهام) ، وسط كل هذا الفيضان من العواطف الجيَّاشة .

واكتست ملامحها الرقيقة فجأة بشراسة رهيبة ، ألقت الرعب فى قلب (منى) وهى تقول بقسوة :

ـــ وداعًا يا ضابط المخابرات المصرى .. لا تقلق على زميلتك ، سأرسلها خلفك فى الحال .

ابتسم (أدهم) بسخرية شديدة ، وهو يقول بهدوء :

ـــ هيَّا يا عزيزتى (سونيا) .. لقد مللت الانتظار .

وبغضب عارم وتصميم شديد ، ضغطت على زناد

مسدسها المزوَّد بكاتم للصوت .. وشهقت (منى) ذعرًا عندما سمعت صوت انطلاق الرصاصة المكتوم ، وهى تعبُر فوهة المسدس ، وصوت ارتطامها بصدر (أدهم) .. فى موضع القلب تمامًا .

* * *



٦ ـ وثبة الثعلب ..

صرخت (منى) صرخة قوية ملتاعة ، وهي تغمض عينيها بقوة ، وقد طفرت منهما دموع اللوعة والأسى ، ولكنها عادت تفتحهما بدهشة بالغة ، عندما سمعت صرخة تموج بالذهول ، تحمل صوت (سونيا جراهام) ..

فتحت عينيها ليطالعها مشهد تدلَّت له فكّها السفلى بذهول .. فقد كان (أدهم) بمعطفه الفرائى الأبيض ، يشبه ثعلبًا ضخمًا من ثعالب الثلوج ، وهو يثب وثبة رشيقة غاية فى المهارة نحو (سونيا) و (فريدريك) ، اللذين ملأتهما الدهشة ، حتى تفجّرت بأقصى صورها فى ملامحهما ، عندما هبط (أدهم) أمامهما تمامًا ، وأمسك بمعصم (سونيا) ، ليرفع مسدسها بعيدًا عن مدى إصابته ، ويلكم (فريدريك) فى الوقت ذاته لكمة قوية ساحقة ، ألقت به فوق مكتبه ، فتناثرت محتوياته فى الغرفة ،



عندما هبط (أدهم) أمامهما تمامًا ، وأمسك بمعصم (سونيا) ، ليرفع مسدسها بعيدًا عن مدى إصابته ..

ثم عاد بكفّه ليصفع (سونيا جراهام) صفعة قوية ، تردَّد رنينها فى الحجرة ، وسقطت هى على أثرها على الأرض دون أن تنطق بكلمة واحدة ..

أسرعت (سونيا) واقفة على قدميها ، وقد انطبعت أصابع كفّ (أدهم) الحمراء على خدّها الأبيض ، وامتلأت ملامحها بالحنق والغضب والدهشة ، فى حين أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة عالية ، وهو يصوِّب مسدسه إلى (سونيا) و (فريدريك) ، ويمسك كفّ (منى) الرقيق فى راحته ..

صاحت (منى) بدهشة :

ـ كيف أمكنك ... ؟

قاطعتها (سونيا) بحنق :

ـ هذا ما أودّ أن أسأله يا فتاة المخابرات .

ضحك (أدهم) بسخرية ، وهو يمسك بطرف معطفه قائلًا :

ـ لا ريب أنك تعرفين هذا النوع من المعاطف الواقية من الرصاص ، يا عزيزتى (سونيا) .

اتسعت عينا (سونيا) وهى تقول بذهول :

ــ مستحيل !! إننى لم أتوقَّع ..

قاطعها (أدهم) بسخرية قائلًا :

ــ عجبًا !! لِمَ يصرُّ الجميع على أنهم يفاجئون بما أفعل ؟.. حتى لو تصرَّفت بصورة بسيطة طبيعية .

وابتسم بخبث ، وهو ينظر فى عينى (سونيا) مباشرة ، قائلًا :

ــ ولا تنسَىْ يا عزيزتى (سونيا) ، أننى عرضت عليك خلع هذا المعطف الواقى من الرصاص ، ولكنك رفضت بإصرار .

تمتمت (سونيا) بحنق :

ــ مغرور ..

ضحك (أدهم) وهو يقول لـ (منى) :

ــ هيَّا يا زميلتى العزيزة .. سنقيِّد هذا الوغد ، وهذه الحيَّة الرَّقطاء ، حتى نغادر المصنع بأمان .

لم يكد (أدهم) و (منى) يغادران الغرفة ، حتى

قفزت (سونيا) واقفة على قدميها ، وألقت قيودها بعيدًا ، وهى تقول بغضب :

ــ يا لهذا المغرور !! أيظن أنه الوحيد الماهر فى التخلُّص من القيود .

نظر إليها (فريدريك) بدهشة وصاح :

ــ أسرعى يا عزيزتى (سونيا) .. حلِّى قيودى .

ــ مهلًا يا مستر (أبسن) .. لابدَّ أولًا من إبلاغ حراس المصنع ، حتى يمنعوا هذا الشيطان ورفيقته من مغادرة المكان ، حتى ولو اضطروا لقتلهما .

* * *

كان (أدهم) يقود السيارة المرسيدس البيضاء بهدوء نحو بوابة الخروج للمصنع ، وهو يقول لـ (منى) :

ــ لقد انكشفت خطتنا هذه المرة أيتها النقيب ، وسنضطر إلى العمل بأسلوب حرب العصابات كالعادة .

هزَّت كتفيها ببساطة ، وهى تغوص فى مقعدها قائلة :

ــ لا عليك يا سيادة المقدم .. لقد اعتدت ذلك .

زوى (أدهم) ما بين حاجبيه ، وهو يتمتم بسخرية :

ــ يا للسخافة !!

اعتدلت (منى) وسألته بقلق :

ــ ماذا حدث ؟

أجاب (أدهم) وهو ينحرف بسيارته فى صورة مباغتة ، ويزيد من سرعتها فى الوقت ذاته :

ــ يبدو أن صديقتنا (سونيا) قد نجحت فى التخلُّص من قيودها بأسرع مما توقَّعت .. فحراس المصنع ينتظروننا وقد أغلقوا البوابة ، وحملوا أسلحتهم فى وضع التأهُّب للقتال .

لم يكد يتم عبارته ، حتى اخترقت رصاصة من رصاصات الحرس زجاج السيارة الخلفى ، ومرقت من الزجاج الأمامى بقوة .. فصاح (أدهم) فى مرح وهو يعاود الانحراف بسيارته :

ــ يا إلهى !! إن الأوامر قد صدرت بالتخلُّص منا تمامًا يا (منى) .

أسرعت (منى) تخرج مسدسها من حقيبتها الصغيرة ، وتصوِّبه نحو الحراس وهى تقول :

ــ حسنًا .. لن أدع أمامهم فرصة للندم .

ضحك (أدهم) بسخرية ، وهو يقول :

ــ أعيدى مسدسك إلى حقيبتك يا عزيزتى ، وتشبَّثى بمقعدك جيِّدًا .

لاحظت (منى) أنه قد دار بالسيارة ليواجه البوابة مرة أخرى ، ورأته يضع عصا السرعة فى الوضع الرابع .. فسألته بدهشة وقلق :

ــ ماذا تنوى أن تفعل يا سيادة المقدم ؟

اندفعت سيارة (أدهم) كالصاروخ ، نحو كومة من الخشب مواجهة للبوابة ، وهو يقول بسخرية :

ــ فى نيَّتى أن أحوِّل هذه المرسيدس إلى طائرة أيتها النقيب .

صاحت (منى) فى ذعر :

ــ لن تحتمل السيارة يا (أدهم) .. لن يمكنك أن ....

وتحوّلت صيحتها إلى صرخة رعب عالية ، عندما ارتطمت عجلتا المرسيدس الأماميتان بكومة الأخشاب ، فأدت سرعتها البالغة إلى ارتفاعها عن الأرض ، وطارت فى الهواء عاليًا ، مجتازة رجال الحرس وبوابة المصنع ، التى يبلغ ارتفاعها مترين ونصف المتر ، واندفعت تشق الهواء ، فى طريقها إلى الأرض المغطاة بالثلوج ، كطائرة تهوى من ارتفاع شاهق وبسرعة بالغة .

* * *

٧ ـ صراع مع الزمن ..

ارتجف قلب النقيب (منى توفيق) برعب ، فقد ذكّرها هذا الموقف بما حدث لها فى أثناء إحدى مغامراتهما ، عندما هبطت بسيارتها فوق سيارة (دونا ماريا) ، المهرِّبة الأسبانية الشهيرة على أرض (السويد) .. ذلك الموقف الذى أدَّى إلى إصابتها بإصابات بالغة ، اقتضت بقاءها فى فراش المرض ستة أشهر كاملة [1] ...

أما (أدهم) فقد كان يبتسم بسخرية ، وكأنما يجد لذة فى تحدِّى الخطر ، وأمسكت قبضتاه بعجلة القيادة فى قوة وحرص بالغين .

وبعد ربع دقيقة خيِّل لـ (منى) أنها استغرقت دهرًا كاملًا ، لمست عجلات المرسيدس الأرض ، وتناثرت الثلوج حولها خارج المصنع ، ودارت حول نفسها منزلقة

(١) راجع قصة (حلفاء الشر) .. المغامرة رقم (١٢) .

فوق الثلوج ، فى حين ضغط (أدهم) على (فراملها) بقوة متوسطة ، وهو يعيد ذراع السرعة إلى وضع الصفر ، ويمسك عجلة القيادة بقوة بالغة ..

ولم تكد السيارة تبطئ فى انزلاقها ، حتى وضع (أدهم) ذراع السرعة فى الوضع الأول ، ورفع قدمه عن دوّاسة (الفرامل) ليضغط بها بشدة على دوّاسة الوقود ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها رصاصات الحرس نحو المرسيدس البيضاء ، التى انطلقت بسرعة تدل على مدى مهارة وجرأة قائدها ، مبتعدة عن المصنع ، وفى داخلها أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة عالية ، وهو يقول :

ـ وداعًا أيها الأوغاد .. ليس من السهل القضاء على (أدهم صبرى) .

تنهّدت (منى) بعمق ، وابتسمت بصعوبة وهى تقول :

ـ ياللغرور !!

أطلق (أدهم) ضحكة أخرى عالية ، وانطلق بالسيارة لا يلوى على شىء .

* * *

تأمّلت (منى) بعصبية (أدهم) ، الذى انهمك فى تغيير ملامحه مرة أخرى ، ولم تتمالك نفسها ، فسألته بحنق :

ـ ماذا تنوى أن تفعل الآن بعد انكشاف خطتنا يا سيادة المقدم ؟

أجابها بسخرية :

ـ أنوى قضاء إجازة الصيف فى (النرويج) يا عزيزتى .

صاحت بغيظ :

ـ ليس فى استطاعتى تحمُّل دُعاباتك هذه المرة يا سيادة المقدم ، فنحن نحاول منع وصول شحنة خطيرة إلى أشد الدول عداوة لنا ، ولا يمكننا التنبؤ بالزمن اللازم لذلك .. إننا هذه المرة فى صراع مع الزمن .

هزَّ كتفيه بلا مبالاة ، وقال :

ـ إننا هكذا فى كل مرة يا عزيزتى .

صاحت بعصبية :

ـ ولكنك تتصرَّف وحدك ، وكأننى لست هنا .. لابدَّ لى من معرفة ماذا سنفعل ؟

ابتسم (أدهم) وهو يضع اللمسات الأخيرة لتنكُّره ، وقال بهدوء :

ــ هدِّئى من روعك يا عزيزتى .. لقد لاحظت مثلى أن (فريدريك) و (سونيا) غير متفقين فى أسلوب العمل .. فهو يميل إلى الخطوات الهادئة البعيدة عن المتاعب ، أما هى فلقد حاربت العديد من الرجال ، ولم أقابل من هو فى نفس شراستها .

استعادت (منى) هدوءها وهى تسأله :

ــ وبِمَ سيفيدنا ذلك ؟

ابتسم بمكرٍ وهو يرفع سماعة الهاتف قائلًا :

ــ سنتبع المبدأ الاستعمارى القديم : (فرِّق تَسُدْ) .

* * *

تحرّكت (سونيا) بعصبية فى غرفة (فريدريك) ، وتحسَّست آثار صفعة (أدهم) على خدّها فى حنق ، ثم صاحت فى غضب :

ــ لابدَّ من الإسراع فى إرسال الشحنة إلى دولتى

يا مستر (أبسن) .. متى ينتهى رجالك من إعدادها ؟

قلَّب (فريدريك) كفَّيه ، وقال :

ــ لابدَّ من بعض الوقت يا عزيزتى (سونيا) .. لقد انتهى طلاء العلب الصفيحية بالرصاص ، ولكننا نحتاج إلى ثلاثة أيام لتعبئتها .

قاطعته صائحة :

ــ ثلاثة أيام كاملة ؟ .. وهل تعتقد أن هذا الشيطان المصرى سيسمح لنا بكل هذا الوقت ؟

قال بغيظ :

ــ الشحنة ضخمة ، وتحتاج إلى عناية خاصة ، ولن يمكننى تجهيزها فى أقل من ذلك ، حتى ولو هبطت شياطين الجحيم جميعًا .

صاحت بغضب وهى تشيح بذراعيها :

ــ فليعمل رجالك ليل نهار .. لابدَّ من إنجاز الشحنة فى يوم واحد .. إن المخابرات المصرية قد تدخّلت فى الأمر وأرسلت أخطر رجالها ، وهذا يهدد العملية بالفشل .

احتقن وجه (فريدريك) غضبًا ، وهمّ بالاعتراض ، ولكن جرس هاتفه الخاص رنّ فى هذه اللحظة ، فكتم غيظه ورفع السماعة بغضب ، وهو يقول :

ــ هنا (فريدريك أبسن) من المتحدث ؟

ظهرت الدهشة على وجهه لحظة واحدة ، عندما سمع صوت محدثه الهادئ يقول :

ــ أرجو ألّا تتغيَّر ملامحك إذا كانت (سونيا) إلى جوارك .. أنا (أدهم صبرى) .

ازدرد (فريدريك) لعابه ، وتمالك أعصابه ، وقال بهدوء مصطنع :

ــ ماذا تريد يا مستر .... ؟

قاطعه (أدهم) قائلًا :

ــ أريدك أنت يا مستر (أبسن) ، دون أن تعلم (سونيا جراهام) بشىء .. أريد أن أتفاوض معك بشأن الشحنة .

اعتدل (فريدريك) فى مقعده وقال :



قاطعه (أدهم) قائلًا :
ــ أريدك أنت يا مستر (أبسن) ، دون أن تعلم (سونيا جراهام) ..

— كم تطلب بالضبط ؟

قال (أدهم) بهدوء :

— ثلاثة ملايين دولار .

قال (فريدريك) باختصار :

— أين ؟

أجابه (أدهم) :

— فى مدينة الملاهى العامة (بأوسلو) .. فى التاسعة من مساء اليوم .

ابتسم (فريدريك) ابتسامة باهتة ، وقال :

— وما الذى سأحصل عليه بالمقابل ؟

ضحك (أدهم) ، وقال :

— أنت حقًّا رجل أعمال يا مستر (أبسن) .. حسنًا .. سأبتعد عن طريقك تمامًا ، ولن أتدخَّل فى أمر الشحنة .. المهم ألا تخبر (سونيا) بما اتفقنا عليه ..

ضحك (فريدريك) بجذل ، وقال :

— اتفقنا .. سأوافيك فى الموعد .

ولم يكد ينهى الاتصال ، حتى سألته (سونيا) ببرود :

— مع من كنت تتحدث يا مستر (أبسن) ؟

لوَّح بكفِّه علامة اللامبالاة ، وقال :

— لا شىء يهم ، إنه أحد عملاء المصنع .. فلنعد إلى حديثنا الهام حول شحنة اليورانيوم .

* * *





٨ — صراع الأعداء ..

انعكست أضواء مدينة الملاهى الضخمة على زجاج سيارة (أدهم) ، وهو يوقفها فى المكان المخصَّص للانتظار ، ويهبط منها بهدوء ، ولم تلبث أن تبعته (منى) وهى تقول :

— قلبى يحدِّثنى أننا نسير بأقدامنا إلى فخ مُحكم .

ابتسم (أدهم) ، وقال :

— لهذا اخترت مدينة الملاهى مكانًا للقاء يا (منى) ، فمن العسير إطلاق النار علينا وسط هذا الجمع من البشر .

ضحكت بحنق وهى تقول :

— هناك وسائل أخرى للقتل بخلاف الرصاص ياسيادة المقدم .

هزَّ كتفيه بلا مبالاة ، وقال وهو يعبرُ إلى داخل مدينة الملاهى :

— فلندع أمرنا للقدر ، يصرّفه كما يشاء يا عزيزتى .

أخذ (أدهم) يجول ببصره فى أرجاء مدينة الملاهى ، حتى توقّف عند لعبة تعتمد على دوران بعض العربات المثبتة فى أسطوانة ضخمة ، وأشارَ بسبّابته نحوها وهو يقول بسخرية :

— هاهو ذا صديقنا (فريدريك أبسن) يا عزيزتى .. سنبدأ خطتنا الجديدة فى الحال .

اقترب (أدهم) و (منى) بهدوء من (فريدريك) ، الذى ظهر التوتّر واضحًا على ملامحه ، وهو يتطلّع بدهشة إلى (أدهم) ، الذى ارتدى منظارًا طبّيًا ، وصبغ شعره بلون أشقر كالذهب ، وحوّل عينيه إلى لون فى زرقة السماء ، وكسا وجهه بشارب ولحية كثيفين من نفس لون شعره .

صافحه (أدهم) بهدوء قائلًا :

— دعْك من التطلّع إلى ملامحى يا مستر (أبسن) ، فهى تتغير بسرعة تفوق سرعتك فى استيعابها ، ودَعْنا نتحدّث فى العمل .. هل أحضرت النقود ؟

مدّ إليه (فريدريك) يده بحقيبة صغيرة ، وهو يقول فى ارتباك :

— ها هى ذى يا مستر (صبرى) ، ولكننى أريد وعدًا منك بعدم التدخّل فى أمورى مرة أخرى .

ابتسم (أدهم) بسخرية قائلًا :

— لا تعطنى النقود هنا يا مستر (أبسن) .. دعْنا نركب إحدى هذه العربات الدوّارة أولًا ..

سأله (فريدريك) بحيرة وقلق :

— ولكن لماذا يا مستر (صبرى) ؟

قالَ (أدهم) وهو يمسك بذراعه ، ويقوده إلى شباك التذاكر الخاص باللّعبة :

— هذه هى أصول العمل يا مستر (أبسن) .. سرعان ما تعتادها .

ثم التفت إلى (منى) ، وقال بحزم :

— لا تتحرّكى من مكانك يا زميلتى العزيزة ، وسأعود إليك بعد انتهاء مهمتى هذه .

* * *

شعرت (منى) ببعض القلق ، عندما شاهدت (أدهم) يجلس بجوار (فريدريك أبسن) داخل عربة الملاهى الصغيرة ، وتضاعف قلقها بلا مبرر حينما بدأت العربة فى الدوران حول الأسطوانة الضخمة ، وأخذت تفرك كفّيها بعصبية ، وتنفث من فمها الصغير بخار الثلج بتوتّر ، فى نفس الوقت الذى ازدادت فيه سرعة دوران العربة ، كما يحدث عادة فى ألعاب الملاهى ..

وفجأة لمحت (منى) وجهًا مألوفًا أثار الرجفة فى أوصالها ، بالإضافة إلى البرد الشديد .. رأت (سونيا جراهام) وهى تتحدث مع الرجل المسئول عن إدارة تلك اللّعبة التى يركبها (أدهم) و (فريدريك) ، ورأتها وهى تدس فى يده مبلغًا كبيرًا من المال ، وفهمت فى الحال سبب القلق الذى تشعر به منذ البداية ..

لا ريب أن (سونيا) تدبّر أمرًا ما ، للتخلّص من (أدهم) ، و (فريدريك) .

وقبل أن تخطو (منى) خطوة واحدة أو حتى تهم بالصياح لتحذير (أدهم) ، أحاط بها رجلان ضخما

الجثة ، وشعرت بيد تحمل منديلًا تكمّم فمها ، وبرائحة نفاذة تتصاعد من أنفها إلى مخّها ، ثم غابت عن الوعى بين ذراعى أضخم الرجلين ، وهى تهتف فى أعماقها لتحذير زميلها .. (رجل المستحيل) .

* * *

لم تكد عربة الملاهى الصغيرة تصل إلى سرعتها الثابتة ، حتى عاد (فريدريك) يسأل (أدهم) بقلق :

— مازلت لا أفهم سبب ركوبنا هذه العربة يا مستر (صبرى) .. ألم يكن من الأسهل تسليمك الملايين الثلاثة فى أرض الملاهى ؟

وجفّ لعابه فجأة ، فلم يستطع إضافة حرف جديد ، وشحب وجهه للغاية عندما فوجئ بمسدس (أدهم) فى وجهه ، وسمع صوت هذا الأخير الساخر يقول :

— ولكن (سونيا جراهام) ترى غير ذلك يا مستر (أبسن) .

حرّك (فريدريك أبسن) لسانه الجاف بصعوبة ، وقال بصوت أجش :

— وما صلة (سونيا جراهام) بذلك ؟

قال (أدهم) فى برود ، وهو يسحب إبرة الأمان بمسدسه :

ــ أنت كثير الاعتراض والمناقشة يا مستر (أبسن) ، والمخابرات التى تتبعها (سونيا) لا تحب هذا الأسلوب .. ولذلك ....

اتسعت عينا (فريدريك) فزعًا ، وصاح :

ــ هل تعنى أن (سونيا جراهام) كلّفتك بقتلى ؟

ابتسم (أدهم) بسخرية ، وقال :

ــ إذن فأنت ذكىّ ، بعكس ما يدّعون يا مستر (أبسن) .. نعم هذا صحيح .. لقد كلّفتنى (سونيا جراهام) شخصيًّا التخلُّص منك .

وفجأة شعر (أدهم) بغثيان شديد ، وبأن عينيه تكادان تغادران محجريهما ، وبدوار شديد .. أما (فريدريك) فقد تقيأ بالفعل ، وهو يتمتم بصوت مريض :

ــ اللعنة !! هذه العربة تدور بسرعة تفوق المعتاد .

وفى تلك اللحظة كان العامل المسئول عن إدارة اللعبة

يسأل (سونيا) بدهشة :

ــ إلام تهدفين يا سيّدتى ؟ .. إن دوران اللعبة حتى بضعف هذه السرعة لن يقتل أحدًا .

ابتسمت (سونيا) بشراسة ، وقالت :

ــ إنها مجرد دعابة أيها الرجل .. كما سبق أن أخبرتك .

ثم قالت لنفسها بصوت خفيض لا يكاد يُسمع :

ــ صحيح أن ذلك لن يقتل (أدهم صبرى) ، ولكنه حينما يهبط من اللعبة ، لن يصبح قادرًا على تصويب مسدسه إلى فيل ضخم فى غرفة مغلقة .

* * *

شعر (أدهم) بالضغط يزداد على أذنيه ، ولكن رغبته فى القىء تلاشت أو كادت مع ثبات السرعة المرتفعة ، أما (فريدريك) فقد فقد الوعى تمامًا ، مما ساعد (أدهم) على التفكير فى الأمر بهدوء ..

كان يعلم بحكم خبرته فى الطيران أن استمرار الدوران بهذه السرعة الشديدة ، سيؤدى بالضرورة إلى تحطُّم طبلتى

أذنيه ، وأنه من الضرورى إيقاف هذه العربة قبل أن يصل الموقف إلى هذه النقطة ..

حلّ (أدهم) حزام الأمان بالعربة الصغيرة ، ثم قاس بنظرة خبيرة المسافة التى تفصله عن الأعمدة الثابتة التى تحيط باللعبة ، واتخذ قراره بسرعة ..

وأمام عيون روّاد مدينة الملاهى الذين تملّكهم الفزع ، قفز (أدهم صبرى) من العربة التى تدور بسرعة تزيد على المائتى كيلومتر فى الساعة ، وأصابعه مفتوحة ، وذراعاه ممدودتان فى رحلة نحو الحياة .. أو الموت .

* * *



٩ ــ الشيطان والأفعى ..

كان أكثر روّاد الملاهى ذهولاً هما (سونيا جراهام) والعامل المسئول عن إدارة اللعبة ، فقد طار (أدهم) فى الهواء كصاروخ ، قبل أن تتشبّث كفّاه فى إحدى القوائم الرأسية المحيطة باللعبة ، فى قوة يعجز عنها البشر ، ثم يدور بجسده دورة أفقية كمروحة الهليوكوبتر ويفتح كفيه ، لينطلق نحو الغرفة الزجاجية التى تحوى آلات قيادة اللعبة ، ويخترقها كالقنبلة محطمًا زجاجها فى دوىّ شديد ، وهابطًا فوق العامل المسئول تمامًا ..

سقط العامل بفعل الثقل ، وهو يطلق صيحة تجمع بين الجزع والدهشة والألم ، وأسرعت (سونيا) ترفع مسدسها الصغير فى وجه (أدهم) ، ولكن (أدهم) قفز واقفًا على قدميه ، دون أن يهتم ببقايا الزجاج المتناثرة على سترته ، وأطار مسدس (سونيا) بضربة قوية من كفّه ، ثم

أمسك بوسطها ورفعها فى الهواء كدمية صغيرة ، ودفعها لترتطم بالحائط الوحيد فى الغرفة ، وهو يقول فى سخرية لاذعة :

ـــ فشل آخر يا عزيزتى (سونيا) .

صرخت (سونيا) من الألم والفشل ، عندما ارتطم ظهرها بالحائط ، وبذلت جهدًا شديدًا لتحتفظ بتوازنها ، ولكن (أدهم) عاد يصفعها صفعة قوية ، ألقت بها أرضًا مرة أخرى ، وتهدلت خصلات شعرها الناعم على وجهها ، فأزاحتها بحنق وهى تحدّق فى وجه (أدهم) بشراسة ، وسمعته يقول بسخرية :

ـــ ما رأيك لو أغلقت ملفك الحافل فى مخابرات دولتك الآن ؟

نهضت ببطء وهى تقول بقسوة وغضب :

ـــ حاول يا مستر (أدهم) .. حاول ولن ترى زميلتك مرة أخرى .

كان روّاد الملهى قد تجمعوا وتجمهروا حول اللُعبة التى أوقفها (أدهم) ، ولاحظ هو عدم وجود (منى) ،



أمسك بوسطها ورفعها فى الهواء كدمية صغيرة ، ودفعها لترتطم بالحائط الوحيد فى الغرفة ..

فأمسك بكفّ (سونيا) ، وجذبها خارج غرفة التحكّم ، وهو يقول ببرود أدهشها :

ـــ هيّا يا عزيزتى (سونيا) .. سأدعوك إلى كوب من الشراب فى كافيتريا الملاهى ، ريثما نتحدّث فى شأن زميلتى الغائبة .

* * *

تناولت (سونيا جراهام) رشفة من شرابها المنعش فى هدوء ، وكأنها تجالس صديقًا عزيزًا ، ثم وضعت الكوب أمامها ، والتقت نظراتها الماكرة بعينى (أدهم) ، وهى تقول فى برود :

ـــ كل ما أطلبه هو أن تبتعد عن العملية ، حتى يتم نقل الشحنة إلى دولتى يا مستر (أدهم) .. وزميلتك هى الثمن .

أدار (أدهم) كوب الشراب بين راحتيه لحظة ، ثم قال ساخرًا :

ـــ وهل تصوّرت أننى سأقبل هذا النوع من المساومة ؟

ابتسمت وهى تشعل سيجارة رفيعة ، وتقول بهدوء :

ـــ نعم يا مستر (أدهم) .. فنحن نعلم مدى ارتباطك بزميلتك ، ومدى شهامتكم أيها المصريون .

تراجع (أدهم) إلى الخلف قليلًا ، وقال بتهكّم واضح :

ـــ هكذا ؟! .. وهل تتصوّرون أنه من الشهامة أن أضحّى بالتفوّق العسكرى لدولتى ، من أجل فتاة ، مهما بلغت محبّتها فى قلبى ؟

نظرت إليه بدهشة شديدة ، فأردف بهدوء وبصوت يجمد الدم فى العروق :

ـــ لا أيتها الوقحة المغرورة .. أنا لا أوافق على هذه الصفقة ، ولكننى أحذّرك فى الوقت نفسه يا (سونيا جراهام) .. لو أنكم مسستم شعرة واحدة من جسد (منى) ، فإننى أقسم بأن النمل نفسه سيعجز عن العثور على بقاياك ، أو بقايا أى عميل من عملاء دولتك ، يلقيه سوء حظه فى طريقى .

وبرغم برود أعصابها الشهير ، وقلبها الذى لا يعرف الخوف ، إلّا أنها شعرت برهبة شديدة من لهجة (أدهم) ونظراته المخيفة ، فنهضت وهى تقول :

ــ سنرى يا مستر (صبرى) .. سنرى .

ولكنه أمسك بمعصمها بيد قوية فولاذية ، وقال ببرود :

ــ نصيحة أخيرة قبل أن تنصرفى يا (سونيا) .. احرصى على بقاء (منى) على قيد الحياة .. وإلّا فإنه ليس هناك ما يمنعنى عن تمزيقك سوى ذلك .

ارتجف صوتها على الرغم منها ، وهى تقول متظاهرة باللامبالاة :

ــ ستبقى يا مستر (أدهم) .. ستبقى .

* * *

انهمرت الثلوج بغزارة هذا المساء ، ووقفت (سونيا) تتأمّلها من خلف زجاج نافذة مكتب (فريدريك أبسن) ، وهى صامتة ، على حين كان هذا الأخير يقول بحنق وغضب :

ــ لقد انتهى عملنا معًا يا (سونيا) .. وهذا أكرم ما يمكننى أن أجود به ، بعد محاولتك القذرة للتخلّص منّى بواسطة (أدهم صبرى) .

استدارت محنقة صائحة :

ــ أنت أغبى من رأيت فى عمرى بأكمله يا مستر (أبسن) .

صاح فى غضب عارم :

ــ نعم يا (سونيا) .. أنا أغبى مخلوق فى الوجود ؛ لأننى وثقت فى دولتك .. لقد كنت أستحق القتل لقاء ذلك .

ضغطت على أعصابها بصعوبة ، وقالت :

ــ لا تساعد هذا الشيطان المصرى على النجاح فى مخططه يا مستر (أبسن) .. إنه يستعمل أسلوبنا القديم المعروف بمبدأ : (فرّق تسُدْ) .

ضحك بمرارة وعصبية ، وقال :

ــ هكذا ؟! .. وهل يدفعه هذا الأسلوب إلى قتلى ؟ ..

ثم ماذا يفيده من إخبارى بذلك ، ما دام كان بسبيله إلى قتلى ، لو لم يكن الأمر حقيقة ؟

تنهّدت بعمق ، وقالت :

ــ لا ريب أنه كان سيتظاهر بفشل محاولة القتل ، ويترك فى نفسك الأثر فحسب .. ولكننى تسرّعت بإدارة اللّعبة بسرعتها القصوى و ....

قاطعها (فريدريك) صائحًا :

ــ ها هو ذا اعترافك يخرج من بين شفتيك تلقائيًا أيتها اللعينة .. ما دمت لا تستهدفين قتلى ، فلِم أطلقت سرعة اللّعبة وأنا فى داخلها ؟

ضغطت (سونيا) على أسنانها بغيظ ، وقالت :

ــ كنت أعلم أن ذلك لن يقتلك ، ثم إنها كانت فرصة مناسبة لـ ....

قاطعها صارخًا :

ــ لا .. لا تواصلى خداعى هكذا أيتها اللعينة .. إننى لم أعد أثق بدولتك أو مخابراتها .. سألقى الشحنة بأكملها فى البحر .

شحب وجه (سونيا) ، وقالت :

ــ لا يا مستر (أبسن) .. لا تقدم على عمل تندم عليه فيما بعد .

رفع (فريدريك) سماعة الهاتف ، وهو يصرخ بغضب :

ــ بل سأفعل يا (سونيا) .. سأطلب من رجالى فعل ذلك فى الحال .

سمع (فريدريك) صوت (سونيا) قاسيًا باردًا وهى تقول :

ــ لحظة يا مستر (أبسن) .

استدار إليها بحدّة .. لم يكد بصره يقع عليها حتى سقطت سماعة الهاتف من يده ، واتسعت عيناه ذعرًا ، ومدَّ يده أمامه ، وكأنه يدافع عن نفسه ، فقد كانت (سونيا) تصوّب نحوه مسدسها الصغير ، وهى تقول ببرود وقسوة :

ــ إنك لم تترك لى الخيار يا مستر (أبسن) .

وبهدوء شديد ضغطت أناملها الرقيقة على زناد مسدسها ، لتنطلق من فوّهته رصاصة ، استقرت بين عينى (فريدريك أبسن) تمامًا .

* * *

١٠ ـ الثعلب والذئاب ..

وضع أحد حرّاس المصنع منظاره المقرّب فوق عينيه ، ودار ببصره يتفحّص المنطقة وهو يقول لزميله :

ـ لم أعد أدرى أيهما الرئيس !!.. مستر (أبسن) ، أم تلك الحسناء (سونيا جراهام) ؟

أجابه زميله بضجر :

ـ هذا لا يهم يا زميلى العزيز ، فلقد أمرنا مستر (أبسن) بطاعة أوامر (سونيا جراهام) منذ قدومها .

عاد الرجل الأوّل يقول :

ـ قاسية جدًا هذه المرأة .. لقد أجبرت الرجال على العمل المتواصل لتجهيز الشحنة ، وأمرتنا بالمراقبة الدائمة ، وكأننا فى حرب .

نمّت لهجة الزميل الآخر على الإعجاب ، وهو يقول :

ـ لا يمكننا إنكار مدى فاعلية أسلوبها ، فها هى ذى

الشحنة قد أصبحت جاهزة ، برغم أنها تستغرق فى العادة ثلاثة أيام .

وفجأة صاح الرجل الذى يضع المنظار المقرّب فوق عينيه :

ـ مهلًا أيها الزميلان .. لقد خيّل إلىّ أن قطعة من الجليد قد تحرّكت و ....

قاطعه زميله ضاحكًا :

ـ إنها ظلال الغروب يا صديقى ، فهى تتحرّك بسرعة ، قبل أن يستغرق قرص الشمس ساكنًا وسط الأفق .

مطّ الرجل شفتيه ، وقال :

ـ يبدو أنك على حق يا زميلى .. ثم أى أحمق يفكّر فى اختراق الثلوج لمهاجمة مصنعنا بمفرده .. لابدّ أن يكون مجنونًا ليفعل ذلك .

* * *

تحرّك (أدهم) بخفة ومهارة ، وسط الثلوج الكثيفة المحيطة بالمصنع .. كان الجوّ باردًا ، حتى أنه يقل عن الصفر

المئوى بخمس عشرة درجة ، وبرغم ذلك كان (أدهم صبرى) يموج بالنشاط والحرارة ، وهو يتسلّل بمعطفه الفرائى الأبيض ، كالثعلب القطبى ، وينفث أبخرة الثلج ، وهو يدرس المصنع بحرص وعناية ، ثم قال فى نفسه :

ـ لا شك عندى فى أن (سونيا) تحتفظ بـ (منى) داخل هذا المصنع ، فهو يعد أكثر الأماكن أمنًا بالنسبة لها .

وبهدوء شديد تحرّك نحو سور المصنع ، وأخذ يفحصه .. كان السور مصنوعًا من الفولاذ ، بارتفاع مترين ونصف المتر تقريبًا ، فابتسم (أدهم) بسخرية ، وقال :

ـ أعتقد أن الطول مناسب جدًا ، المهم أن أعصر ذاكرتى ، للتوصّل إلى أكثر الأماكن مناسبة للاقتحام .. وبعد ذلك يأتى دور صديقتنا (سونيا جراهام) .

* * *

تنبّه أحد حرّاس المصنع فجأة ، إلى حركة غير طبيعية تحدث خلفه ، فاستدار بحدّة شاهرًا مدفعه الرشاش ،

ولكنه لم يجد سوى كتلة من الأخشاب ساكنة ، وبرغم ذلك لم يطمئن قلبه ، فتحرّك بحذر محاولًا الالتفاف خلف الكتلة الخشبية ، وهو ينقل قدميه فى بطء ، ثم قفز فجأة مصوّبًا مدفعه إلى ما خلف الأخشاب ، ولم يلبث أن تنهّد فى ارتياح ، حينما لم يجد ما يستدعى الخوف أو القلق ، ولم يكد يرخى مدفعه الرشاش حتى شعر بأصابع قوية تنقر على كتفيه ، وسمع صوتًا هادئًا ساخرًا يقول :

ــ هل تبحث عن شىء ما يا صديقى ؟

استدار الرجل بسرعة بالغة معيدًا تصويب مدفعه الرشاش ، ولكن استدارته لم تكتمل ، ومدفعه لم يجد الوقت الكافى للانطلاق ، إذ أوقفته قبضة صُبّت من فولاذ ، هوَت على فكّه بقوة كافية لتحطيم فكّ ثور ، فتهشمت فكّ المسكين بصوت مكتوم ، وجحظت عيناه ألمًا ورعبًا ، وهو يهوى على الأرض كالصخرة .

تناول (أدهم) المدفع الرشاش ، وأسرع يجذب الرجل إلى ركن قصىّ ، وينزع معطفة الأزرق المميّز لرجال الحرس بالمصنع ، وهو يقول بسخرية :



تناول (أدهم) المدفع الرشاش ، وأسرع يجذب الرجل إلى ركن قصىّ ..

ــ لو أن أعمالى كلها تم بنفس هذا القدر من البساطة ، ما أصابنى هذا الإرهاق الذى أشعر به دائمًا .

وما هى إلّا لحظات ، حتى أصبح من الصعب تمييز (أدهم صبرى) بين حراس المصنع ، الذين يتحركون بشكل غير منتظم ، يدل على ضعف تدريبهم ، أما هو فقد سار بهدوء ، حاملًا المدفع الرشاش نحو السُّلّم الذى يقود إلى مكتب (فريدريك أبسن) .

وفجأة أوقفه أحد الحرس قائلًا :

ــ لحظة أيها الزميل .. ألّا تعلم أن المرور فى هذا الطريق ممنوع ، حتى تصل الشاحنات .

أخذ عقل (أدهم) يفكّر فى تعليل مقنع ، ولكن صوت بوق سيارة أعفاه من ذلك ، فقد أشاح الرجل بذراعه فى ضجر ، وتحرّك نحو بوابة المصنع فور سماعه له ، فأسرع (أدهم) يجتاز المسافة الباقية ، ويصعد سلالم مكتب (فريدريك) قفزًا حتى وصل إلى باب مكتبه ، فدفعه بقوة ، وقفز نحو السكرتيرة التى همّت بالصراخ ، ولكن

كفّ (أدهم) كتمت صراخها ، وهو يصوّب مدفعه الرشاش إلى رأسها قائلًا :

ــ من بالداخل يا صغيرتى ؟

أجابت السكرتيرة وهى ترتجف من قمة رأسها إلى أخمص قدميها :

ــ السيدة (سونيا) والسيد (فريدريك) .. ولكن السيدة منعتنى من إدخال أى كائن كان .

ابتسم (أدهم) بسخرية قائلًا :

ــ فليطمئن قلبك إذن يا سيّدتى ، فأنا لست أى كائن كان .

ثم جذب حبلًا من سترته وأخذ يقيّدها قائلًا :

ــ معذرة يا سيّدتى ، ولكن بقاءك حرّة قد يفسد الخطة بأكملها .

* * *

زمّت (سونيا جراهام) شفتيها بحنق ، عندما دَقّ باب غرفة المكتب التى تجلس فى داخلها ، وقالت بغضب :

ـــ من بالباب ؟ .. ألم أمنع دخول أى إنسان ؟

وبرغم لهجتها الغاضبة فُتح الباب بهدوء ، ودخل أحد رجال الحرس بمعطفه الأزرق المميَّز ، ودار ببصره فى أرجاء الغرفة بوقاحة ، فصاحت (سونيا) فى وجهه :

ـــ كيف دخلت إلى هنا أيها القذر ؟ .. كيف سمحت لك تلك السكرتيرة المعتوهة بذلك ؟ .. ألم آمرها .. ؟

قاطعها الحارس وهو يسأل ببرود :

ـــ أين مستر (أبسن) ؟ ..

قطَّبت حاجبيها وهى تقول بغضب :

ـــ هذا لا يعنيك أيها الوقح .. اغرب عن وجهى .

أشار الحارس إلى خارج الغرفة إشارة مبهمة ، وهو يقول بنفس البرود :

ـــ وهذه الفتاة المصرية .. ماذا سنفعل بها ؟

صرخت (سونيا) فى غضب عارم :

ـــ سنتركها كما هى فى غرفة الحفظ ، حتى أصدر أوامرى بشأنها أيها الحارس .

ارتسمت على شفتى الحارس ابتسامة ساخرة ، بعثت شعورًا بعدم الارتياح فى نفس (سونيا) ، وازداد هذا الشعور عندما قال بلهجة تهكُّمية :

ـــ سؤال أخير يا سيِّدتى .. هل لاحظت ذلك ؟ .

نطق بهذه العبارة وهو يمسك بأذنيه ويجذبهما إلى الخارج فى قوة ..

خيِّل لـ (سونيا) وهلة أن الحارس قد انتزع أذنيه ، ثم تنبهَّت إلى الأمر ، فأسرعت يدها إلى مسدسها الموضوع فوق المكتب ، ولكنها تسمَّرت بدهشة حينما صوَّب إليها الحارس فوَّهة مدفعه الرشاش ، وقال بصوت ساخر مألوف لا يخلو من الصرامة :

ـــ شكرًا يا عزيزتى (سونيا) .. لقد وفَّرت علىَّ الكثير من الوقت فى البحث عن (منى) .. لاحظى أننى قد استوعبت الدرس هذه المرة ، وعمدت إلى تغيير معالم أذنىَّ .

ضغطت على أسنانها فى قهر ، وهى تتمتم :

ـــ كيف أمكنك ..... ؟

قاطعها (أدهم) فى سخرية قائلًا :

ـــ إننى أجد متعة فى أداء ما يظنه الآخرون مستحيلًا يا عزيزتى .

ثم أردف بصوت بارد قاس :

ـــ والآن اسمحى لى بتكبيل يديك ، وتكميم فمك يا عزيزتى (سونيا) .. فمن الأفضل أن أعمل دونما تدخُّل منك .

سألته وهى تهزُّ كتفيها ، متظاهرة باللامبالاة :

ـــ ماذا تنوى أن تفعل يا مستر (صبرى) ؟

أجابها ببرود :

ـــ أنوى إشعال النيران فى شحنة اليورانيوم أولًا .

ضحكت (سونيا) ضحكة ساخرة ، مال على أثرها جسدها الضئيل إلى الخلف ، ثم نظرت فى عينى (أدهم) مباشرة وهى تقول :

ـــ هكذا ؟! .. تُرَى ، هل تعلم ماذا يصيب اليورانيوم المشعّ من جراء الاشتعال ؟

قطَّب (أدهم) حاجبيه فى ضيق ، فلم يكن حقًّا يعلم نتائج اشتعال اليورانيوم ، ولكنه قال بتحدٍّ :

ـــ ليكن ما يكون .. المهم ألَّا تصل الشحنة إلى دولتك .

عادت تضحك فى سخرية ، ثم قالت بشماتة :

ـــ هل تسمع صوت هذه الناقلات التى تبتعد يا مستر (صبرى) ؟ .. إنها تحمل شحنة اليورانيوم إلى حيث يتم شحنها إلى دولتى .. أما زميلتك العزيزة فسيتم تقطيعها قطع صغيرة ، وتعبئتها فى علب الأسماك المحفوظة .

ثم نظرت فى ساعتها ، واستطردت بسخرية :

ـــ والوقت لا يكفى لإنقاذ الاثنين .. عليك أن تختار يا مستر (صبرى) .. الشحنة .. أو زميلتك .

* * *

١١ ــ بين نارين ..

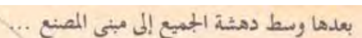
شعر (أدهم) بغضب عارم يملأ نفسه ويهزّ كيانه بأكمله ، ووجد نفسه يطوّح كفّه ليصفع (سونيا) صفعة ، أودعها كل ما يعتمل فى نفسه من غضب ، وهو يقول :

ــ أيتها الحيّة الحقيرة .

سقطت (سونيا) من أثر الصفعة على الأرض ، وارتطمت رأسها بحافة المكتب ، ففقدت وعيها فى الحال ..
وقفز (أدهم) إلى خارج الغرفة ، ثم حلَّ كمامة السكرتيرة وجذبها من شعرها فى قسوة ، وهو يصيح فى وجهها :

ــ أين غرفة الحفظ ؟

ولم تكد السكرتيرة الفزعة تنتهى من وصف المكان ، حتى قفز (أدهم) خارجًا ، وهو يحمل مدفعه الرشاش ، وهبط درجات السُّلَّم العشرين فى قفزة واحدة ، اندفع


بعدها وسط دهشة الجميع إلى مبنى المصنع ..

كان منظره عجيبًا إلى درجة دفعت كثيرًا من رجال الحرس إلى تتبُّعه بشك ، برغم أنه يرتدى نفس زيّهم المميَّز ، ولكن خطواته الواثقة وعدم التفاته إليهم ، جعلهم يظنون أنه أحد زملائهم ، فى طريقه لأداء أمر عاجل ، فعاد كل منهم يتشاغل بعمله غير ملتفت إلى (أدهم) ، الذى قفز درجات سُلَّم المصنع صاعدًا ، ثم انحرف فى أول ممر إلى اليمين ، وأخذ يعدو حتى الغرفة السابعة ، فتوقَّف أمامها يلهث ، ثم دقَّ بابها فى هدوء ..

سمع (أدهم) صوتا يسأله عمن يكون ، فأجاب بلغة نرويجية سليمة :

ــ (سونيا جراهام) تطلب المصرية فى غرفتها حالًا .

فُتح باب الغرفة بهدوء ، وأطلَّ منه وجه رجل ضخم الجثة ، نظر إلى (أدهم) بشك ، وهمَّ بالتفوّه بكلمة تساؤل ، ولكن الكلمات احتبست فى حلقه ، عندما هوى (أدهم) بقبضته الفولاذية على فكّه ، فأرسله إلى عالم اللاوعى ..

نظرت (منى) بجزع ، إلى الشاب الأشقر الوسيم الذى قفز إلى داخل الغرفة وأسرع نحوها ، ولم تلبث أن تهلَّلت أساريرها عندما تعرَّفت الشاب ، فهتفت بسعادة :

ــ (أدهم) ؟! .. كيف نجحت فى الوصول إلى هنا ؟

أخذ (أدهم) يحل وثاقها بسرعة ، وهو يقول :

ــ لا وقت لشرح الأمور أيتها النقيب ، فالشحنة تكاد تفلت من بين أصابعنا .

قالت (منى) بدهشة :

ــ كيف ؟ .. لقد كنت أظن ذلك الصندوق الذى أحضروه ..

توقَّف (أدهم) عن حل وثاقها ، وقاطعها قائلًا :

ــ أى صندوق يا (منى) ؟

أشارت برأسها إلى صندوق متوسط الحجم فى طرف غرفة الحفظ ، فأسرع (أدهم) يحل الجزء المتبقّى من وثاقها ، ثم نهض وسار نحو الصندوق ، وأخذ يعمل على فتحه ، وتبعته (منى) بفضول ..



نظرت (منى) بجزع ، إلى الشاب الأشقر الوسيم الذى قفز إلى داخل الغرفة وأسرع نحوها ..

لم يكد (أدهم) يرفع غطاء الصندوق ، حتى أطلقت (منى) صرخة رعب مكتومة ، وقطَّب (أدهم) حاجبيه فى دهشة وغضب ، فبداخل الصندوق تكوَّمت جثة تجمَّدت الدماء حول ثقب بين عينيها .. جثة (فريدريك أبسن) .

* * *

كان المشهد مروِّعًا ومثيرًا للاشمئزاز ، ولكنه كان الدليل القوى على أن خطة (أدهم) ، المبنية على التفرقة بين المخابرات المعادية و (فريدريك أبسن) ، قد نجحت إلى درجة لم يتصوَّرها هو نفسه .. ولكنه أعاد الغطاء بهدوء ، وأمسك بيد (منى) قائلًا فى برود يفوق برودة الجوّ نفسه :

ـــ هيَّا أيتها النقيب .. لقد غامرت بضياع الشحنة من أجل إنقاذك ، ولم يعد هناك مزيد من الوقت لنضيعه .

أسرعت (منى) تتبعه وهو يتقدَّمها حاملًا مدفعه الرشاش ، حتى وصلا إلى الباب الذى يقود إلى ساحة المصنع ، فهمس (أدهم) فى أذنها :

ـــ انتظرى هنا حتى أحصل على وسيلة انتقال تمكِّننا من اللحاق بالشحنة .

تحرَّك (أدهم) بهدوء خارجًا ، وهو يرخى غطاء الرأس فوق جبهته ، ويضم ياقة المعطف الأزرق المميَّز ، وقد خفض فوَّهة مدفعه الرشاش ، وأخذ يسير بثقة نحو سيارة (فريدريك) المرسيدس الزرقاء .. ولم يكد يصل إليها حتى مدَّ يده بهدوء ، ففتح بابها واندس أمام عجلة القيادة ..

أسرع إليه الحارس المكلَّف بحراستها ، وسأله بحدَّة :

ـــ ماذا تفعل أيها التعس ؟.. إنها سيارة الرئيس الخاصة .

أجابه (أدهم) بصرامة وبلغة سليمة للغاية :

ـــ ابتعد أيها الغبىّ .. لقد أسند إلىَّ مستر (أبسن) مهمة عاجلة تختص بالشحنة ، وويل لمن يعترض طريقى ..

تراجع الحارس بقلق ، حتى أنه لم يلحظ أن (أدهم) أدار محرِّك السيارة عن طريق سلكى الكهرباء ، وليس عن طريق مفتاحها الأصلى ..

انطلق (أدهم) بالسيارة فى ثقة تبعد الشكوك عن طبيعته تمامًا ، حتى توقَّف أمام الباب الداخلى للمصنع ، وأشار إلى (منى) ، فأسرعت تحتل مقعدها إلى جواره ، وهو يقول :

ـــ من الواضح أن رجال مستر (أبسن) من النوع الذى يسهل خداعه .

ولم يكد (أدهم) يدير محرِّك السيارة ، حتى دوَى فى أرجاء المصنع صوت (سونيا جراهام) ، وهى تقول فى عجلة :

ـــ هناك جاسوس فى أرض المصنع يحاول إنقاذ الفتاة المصرية .. اقبضوا عليه قبل أن يحاول الهرب .. أريده حيًّا أو ميِّتًا .

التفتت الأنظار كلها وفوَّهات المدافع الرشاشة إلى سيارة (فريدريك) التى يستقلها (أدهم) ، وإلى جواره (منى) ، فقد فهم الجميع فى لحظة واحدة أن ذلك الحارس الذى يتصرَّف بأسلوب مريب منذ البداية ،

ما هو إلّا الجاسوس المطلوب .. ولابدّ من قتله فى الحال .

* * *

وبرغم صعوبة الموقف الشديدة ، أطلق (أدهم صبرى) الملقب بـ (رجل المستحيل) ضحكة ساخرة عالية ، وقال وهو يضغط على دوّاسة البنزين بقوة :

ـــ عجبًا !! هذا المشهد يتكرّر للمرة الثانية .

ثم انطلق بالسيارة فى سرعة جنونية نحو بوابة المصنع ، وهو يقول لـ (منى) :

ـــ اخفضى رأسك أيتها النقيب ، فسينهمر الرصاص علينا كالمطر ، ولابدّ لنا من اللّحاق بالبوابة قبل إغلاقها ، فهى لا تزال مفتوحة منذ خروج الناقلات التى تحمل شحنة اليورانيوم المطلوبة .

لم تستجب (منى) لأوامره ، بل أسرعت تتناول المدفع الرشاش من المقعد الخلفى ، وأخذت تطلق نيرانه من نافذة السيارة بجرأة وإقدام ، على حين انهمرت رصاصات الحرس خلف المرسيدس الزرقاء ..

ضحك (أدهم) بسخرية قائلًا :

ـــ مرحى يا زميلتى العزيزة .. ها قد أصبحت أخيرًا عضوًا فعّالًا فى المخابرات المصرية .

أسرع الحرس يحاولون إغلاق البوابة ، ولكن (أدهم) اندفع بسيارته كالسهم ، وهو يقول :

ـــ مهلًا أيها الأوغاد .. أنا مصرٌّ على العبور .

تحطّم زجاج السيارة تمامًا من الرصاص المنهمر كالمطر ، وأصيب ذراع (منى) برصاصة ، ولكنها لم تنبس ببنت شفة ، واستمرت فى إطلاق مدفعها الرشاش ، وهى تضغط على أسنانها من شدة الألم .. وشعر (أدهم) برصاصة تحتك بعنقه ، وتستمر فى طريقها لتحطّم زجاج السيارة الخلفى ، وبالدم يسيل على رقبته ويلوّث المعطف .. وكانت البوابة الحديدية الضخمة قد قاربت الإغلاق ، ولكن (أدهم) لم يرفع رجله عن دوّاسة البنزين ، واستمر فى طريقه بجرأة مذهلة ، وإصرار فولاذى ، حتى اقتحم البوابة ، وارتطم بقوة حطّمت مقدمة السيارة ،

التى أثبتت مرة أخرى تفوّق هذا النوع من السيارات ، فقد واصلت طريقها برغم ذلك إلى خارج المصنع ، بعد أن انفتحت البوابة على الرغم منها ، وأصبح (أدهم) و (منى) خارج منطقة الخطر .

* * *

صاحت (منى) بفرح :

ـــ لقد نجونا يا (أدهم) .. لقد نجونا .

غير أنه قال بلهجة غامضة :

ـــ ليس بعد يا عزيزتى .. ليس بعد .

وفوجئت به (منى) يستدير بالسيارة ، برغم الأرض الثلجية الزّلقة ، ليعود مواجهًا بوابة المصنع ، ثم أوقف السيارة فجأة ، فصاحت فيه (منى) :

ـــ يا إلٰهى !! إننا ما زلنا فى مرمى نيرانهم يا (أدهم) .

لم يهتم (أدهم) بعبارتها ، ولكنه ضم كفّيه أمام وجهه كالبوق ، وصاح بملء فيه :

ـــ كفى أيها الأغبياء .. إنكم تطيعون أوامر (سونيا)

التى قتلت زعيمكم ، ووضعته داخل صندوق خشبى فى غرفة الحفظ .. اقتصّوا منها بدلًا من ذلك .

تسمّر الحراس فى ذهول ، وانخفضت فوّهات مدافعهم الرشاشة ، وهم يتبادلون النظرات فيما بينهم ..

كانت عودة (أدهم) متحدّيًا الخطر لتحذيرهم ، قد أشعرتهم بصدق ما يقول ، فتردّد كل منهم فى إطلاق النار عدا واحدًا صاح بحنق :

ـــ أنت كاذب .

وألقى بكرة معدنية براقة نحو السيارة فى غضب واضح .. وبدلًا من أن يتفادى (أدهم) الكرة ، مدّ يده خارج الزجاج المهشّم والتقطها بمهارة ، ثم دار بالسيارة ، وانطلق فى طريقه كالصاروخ ، غير ملتفت إلى الرصاصات التى عادت تنهمر خلفه ..

صاحت (منى) بحنق :

ـــ ما معنى هذا الأسلوب المسرحى ؟

ابتسم (أدهم) وَهو يمسح الدم الذى يلوّث عنقه ، وقال :

ــ بالعكس يا عزيزتى .. لولا هذه الحركة المسرحية ، لضاعت منّا الشحنة إلى الأبد .

سألته (منى) باهتمام ، وهى تعقد منديلاً صغيرًا حول ذراعها المصاب :

ــ هل تعنى أن هذه الكرة المعدنية .....؟

قاطعها (أدهم) قائلاً :

ــ نعم يا عزيزتى .. هذه الكرة المعدنية تحتوى على تقرير من عميلنا السرّى داخل المصنع ، يبين خط سير الشحنة ، حتى يمكننا تعقّبها وتدميرها .

صاحت (منى) بدهشة :

ــ عميل سرّى ؟

أجاب (أدهم) بابتسامة :

ــ إن أحد رجال (فريدريك أبسن) فى الواقع ، تمكّنت مخابراتنا من شرائه بمبلغ ضخم يحتوى على ستة أصفار ، ووعدناه بمبلغ مماثل ، لو أنه ساعدنا فى تعقُّب وإيقاف تصدير الشحنة .. إنه سحر المال يا عزيزتى ، الذى يحرّك هؤلاء الأوغاد .

ثم ناولها الكرة المعدنية قائلاً :

ــ هذه الكرة مقسومة إلى نصفين متساويين يا عزيزتى .. افتحيها وأخرجى الورقة التى فى داخلها ، وأخبرينى أين ستذهب الشحنة .

قالت (منى) بضعف :

ــ لا أعتقد أنه سيمكننى هذا يا سيادة المقدم .. فذراعى تنزف بغزارة ، وأشعر وكأننى سأفقد وعيى .

أوقف (أدهم) السيارة بصورة مباغتة ، والتفت إليها فى جزع قائلاً :

ــ هل أصابتك رصاصة من هؤلاء الأوغاد ؟

أومأت برأسها موافقة ، فدار بالسيارة وهو يقول :

ــ لابدّ من علاج ذراعك أولاً .

صاحت بضعف :

ــ دعْنا نلحق بالشحنة أولاً .

قال (أدهم) بصرامة ، وهو ينطلق نحو مدينة (تروندهايم) :

ــ ذراعك أولاً أيتها النقيب .. هذا أمر .

أرجعت (منى) رأسها ، واستندت بضعف إلى مسند مقعدها ، وهى تشعر بالامتنان البالغ تجاه (أدهم) ، أما هو فقد انطلق بالسيارة وعقله يعمل بقوة ، محاولاً التوفيق بين إسعاف (منى) واللحاق بالشحنة التى تهدد أمن مصر .

* * *

١٢ ــ الانتحـــارى ..

رفع الطبيب الرصاصة التى استخرجها من ذراع (منى) أمام وجه (أدهم) ، وابتسم وهو يقول :

ــ ها قد انتهينا يا سيِّد (أدهم) .. ولست أدرى إذا كان ما أفعله صحيحًا أم لا ؟!

قال (أدهم) وهو يتحسَّس الضمادات التى تغطى الجرح العميق برقبته :

ــ لك أن تفعل ما تراه صوابًا أيها الطبيب ، فأنا لا أملك ما يؤيد أقوالى .

هزَّ الطبيب كتفيه بلا مبالاة ، وقال :

ــ لست أحتاج إلى أدلة يا سيِّد (أدهم) ، فكلانا مصرى ، يعمل من أجل مصر فى (النرويج) ، سواء كنت على حقٍّ أم على خطأ ، فسأغامر على أمل أن يؤدى عملى هذا إلى قطرة خير من أجل مصر .

صافحه (أدهم) بإعجاب وامتنان ، وهو يقول :

ـــ صدّقنى يا سيِّدى الطبيب ، أن عملك هذا سيحقق لمصر ما لا يمكنك تصوُّره .

شملت وجه الطبيب المصرى المهاجر ابتسامة واسعة ، وهو يقول :

ـــ يكفينى هذا القول يا سيِّد (أدهم) .

عاون (أدهم) زميلته على النهوض ، وهو يقول :

ـــ معذرة يا سيِّدى .. سنضطر إلى مغادرتك فورًا ، فعملنا يحتاج إلى السرعة .

قال الطبيب بدهشة :

ـــ ولكن هذه الفتاة تحتاج إلى الراحة .

ابتسمت (منى) ، وقالت :

ـــ لا عليك يا سيِّدى .. إن من يعمل مع (أدهم صبرى) لا يجد الراحة مطلقًا .

* * *

سألت (منى) (أدهم) وهو ينطلق بالسيارة فى سرعة جنونية :

ـــ ماذا عن خط سير الشحنة ؟

أجابها (أدهم) دون أن يرفع عينيه عن الطريق :

ـــ خط سير الشحنة يقضى بنقلها عن طريق الشاحنات برًّا إلى (أوسلو) العاصمة ، حيث يتم نقلها بواسطة قطار بضائع إلى ميناء (ستافنجر) على بحر الشمال ، ومن هنا تنقل عن طريق البحر إلى ميناء (كاليه) الفرنسى ، ثم بالقطار عَبْر (فرنسا) إلى ميناء (مرسيليا) ، ومنه عَبْر البحر المتوسط إلى (تل أبيب) .

سألته (منى) بقلق :

ـــ وهل تعتقد أنه فى إمكاننا اللحاق بالشحنة فى (أوسلو) ؟

زوى (أدهم) ما بين حاجبيه ، وهو يقول :

ـــ لو أننا فشلنا فى ذلك ، فسنضطر إلى القيام بخطوة انتحارية ، لا مناص منها أيتها النقيب .

* * *

صرخت عجلات سيارة (أدهم) بصرير مزعج ، حينما توقَّفت السيارة دفعة واحدة أمام محطة القطار فى

(أوسلو) ، وقفز منها (أدهم) و (منى) ، وأسرعا نحو الباب الرئيسى ، وصاح (أدهم) يسأل حارس الباب :

ـــ هل غادر قطار البضائع المتوجِّه إلى (أوسلو) المحطة ؟

أجاب الرجل فى هدوء وبإيماءة من رأسه قبل أن يقول :

ـــ نعم يا سيِّدى .. منذ ساعة تقريبًا .

سأله (أدهم) متظاهرًا باللامبالاة :

ـــ وهل حمل شحنة الأسماك المحفوظة ؟

أجابه الرجل مبتسمًا :

ـــ بالطبع .. لقد أشرفت على شحنها بنفسى .

ظلَّت ملامح (أدهم) جامدة وهو يقدِّم شكره للرجل ، أما (منى) فقد ظهرت على وجهها خيبة الأمل وهما ينصرفان ، ولكن (أدهم) قفز إلى السيارة ، وأشار إليها أن تحذو حذوه ، فقفزت بدورها إلى جواره ، وسألته بإحباط :

ـــ والآن ماذا سنفعل ؟

قال (أدهم) وهو يعاود الانطلاق بالسيارة :

ـــ من المستحيل اللحاق بالقطار بواسطة السيارة ، فسرعته تبلغ مائة وستين كيلومترًا فى الساعة ، والطرق البرية زلجة مغطاة بالثلوج ، لا تصلح للانطلاق بالسيارة بنفس السرعة .

سألته (منى) بتوتُّر :

ـــ وماذا بعد ؟

قال (أدهم) وهو منطلق بسرعة شديدة :

ـــ القطار فى طريقه الآن إلى (كرستيانسوند) ، قبل أن يصل إلى (ستافنجر) ، ويمكننا اعتراض طريق الشحنة فى هذه المنطقة تقريبًا .

سألته (منى) بدهشة :

ـــ وكيف يمكننا الوصول إلى هناك قبل أن يصل القطار ؟

أجابها (أدهم) ، وهو ينحرف إلى طريق جانبى ضيق مغطًّى بالثلوج :

— سنقوم باستئجار طائرة صغيرة يا عزيزتى .

خرجت من فم (منى) صرخة تعجُّب ، وعادت تسأله بدهشة :

— ولكن المنطقة هناك شديدة الوعورة ، حسبما أذكر من دروس الجغرافيا ، ولن يمكننا أن نجد شبرًا واحدًا صالحًا للهبوط .

قال بهدوء وفوق شفتيه ابتسامة ساخرة :

— لهذا سنضطر إلى شراء مظلّة هبوط أيتها النقيب .

اتسعت عيناها دهشة وهمت بالاعتراض ، ولكنها عادت تضم شفتيها ، وتهزّ كتفيها ، فقد كانت تعلم جيّدًا أنه من المستحيل منع عمل ، قرر أن يقوم به (أدهم صبرى) .

* * *

انطلق قطار البضائع يشق طريقه إلى (كرستيانسوند) بسرعته البالغة مائة وستين كيلومترًا فى الساعة ، وهو يطلق صفيرًا عاليًا ، منبّهًا كل من يدفعه سوء الحظ إلى اعتراض طريقه ..

وعلى ارتفاع مائتى قدم فوق القطار ، ظهرت طائرة صغيرة ذات محرّكين .. كان من الواضح أنها تنطلق بسرعة تفوق الحدّ الأقصى لانطلاقها ، حتى وهى جديدة ، وفى داخلها قال (أدهم صبرى) لزميلته :

— ها قد نجحنا بفضل سرعة الطائرة ، واتخاذ الطرق الجوّية المختصرة من اللّحاق بالقطار ، ولكن لابدّ لنا من تخطيه بعد أن نتم مهمتنا هنا .

ثم تخلّى عن عجلة القيادة وهو يقول :

— هيَّا أيتها النقيب .. لنرى مهارتك فى القيادة .

أسرعت (منى) تحتل مقعد القيادة وهى تقول :

— لن أبلغ نصف مهارتك على أية حال يا سيادة المقدم .

فتح (أدهم) باب الطائرة ، وشعرت (منى) بالبرودة الشديدة ، عندما عبَر الهواء المثلج إلى داخل الطائرة ، ولكنها ضمَّت كتفيها ، وتشبَّثت بعجلة القيادة ، وسمعت (أدهم) يقول :

— سأتعلّق بالسُلّم الصغير المصنوع من الحبال ، وأهبط على سطح القطار أيتها النقيب .. حاولى المحافظة على سرعة الطائرة ، بحيث تساوى سرعة القطار تقريبًا .

وقبل أن تنطق (منى) بما يفيد سماعها للأوامر ، تعلّق (أدهم) بالسُلّم الصغير ، وهو يضم إلى صدره حقيبة كبيرة بعض الشىء ، وشعر بالرياح الشديدة المثلجة ترتطم بوجهه وصدره ، وتدفعه إلى الخلف ، ولكنه أحكم قبضته على السُلّم ، وتدلّى بنصفه السفلى نحو سطح القطار ..

ولو أن رجلًا آخر فى وضع (أدهم صبرى) ، لتجمَّدت أطرافه من شدة البرد والرياح الثلجية .. ولكن جسد (أدهم) كان يفيض بنوع عجيب من الحرارة ، حرارة التصميم والحماس وحب مصر ..

لم تكد قدما (أدهم) تلمسان سطح القطار ، حتى سقط بوجهه على السطح البارد ، وانزلق جسده بشدة ، ولكنه تعلّق فى اللحظة الأخيرة بحافة القطار ، دون أن تفلت قبضته عن الحقيبة التى أمسكها بقوة ، وكأنها تحوى



ولكن جسد (أدهم) كان يفيض بنوع عجيب من الحرارة ، حرارة التصميم والحماس وحب مصر ..

كنزًا بأكمله ، ثم انتظر قليلًا حتى اعتاد جسده على شدة الرياح ، ثم فتح الحقيبة بعناية ، وأخرج منها أسطوانتين من مادة (ت . ن . ت) الشديدة التفجير ، وألصقها بواسطة قرص مغناطيسى قوى فى سطح العربة التى يقف فوقها :.

تحرَّك (أدهم) بسرعة وخفة برغم البرد والرياح ، وأعاد الكرَّة مع كل عربة من عربات القطار ، حتى تأكد أنه قد وزع متفجراته بشكل سليم ، فأسرع يعدُو فوق السطح ، حتى وصل إلى المنطقة التى تفصل القطار عن قاطرة السحب الرئيسية ، فتسلَّل فى الفراغ الضيق ، وأخذ يعالج السلسلة التى تصل القطار بالقاطرة محاولًا فصلهما ، وعندما عجز أخرج مسدسه وصوَّبه إليها وهو يتمتم بسخرية :

ــ معذرة أيتها السلسلة المسكينة .. ليس أمامى سوى ذلك .

ثم أطلق ست رصاصات متتالية ، تحطَّمت السلسلة على أثرها ، وانفصل القطار عن المقطورة تمامًا ..

ازدادت سرعة القاطرة بعد انفصالها ، على حين بدأت سرعة القطار فى الانخفاض تدريجيًا وببطء ، فأسرع (أدهم) يصعد إلى سطح القطار وأشار بذراعيه إلى (منى) ، التى هبطت بالطائرة حتى أصبحت على ارتفاع ثلاثة أمتار فقط من سطح القطار ، وتدلَّى السُلَّم الصغير وأخذت الرياح تطوِّحه بعيدًا ، ولكن الوقت لم يكن يسمح بالتردُّد ، فجمع (أدهم) قوته ، وألقى بالحقيبة الفارغة بعيدًا ، ثم قفز ليتعلَّق بالسُّلَّم ..

ولأول مرة أخطأ تصويب (أدهم) ، بسبب الرياح التى تهز السُّلَّم بقوة .. فوجد يديه معلَّقتين بالهواء ، وجسده يهوى نحو الأرض بسرعة وقوة .

* * *





١٣ ــ قاهر المستحيل ..

لا أحد يجد تفسيرًا لما حدث بعد ذلك .. لعلها الرياح الشديدة القوية أو سرعة القطار الشديدة ، أو كما يبالغ البعض .... إرادة (أدهم صبرى) الفولاذية .. فقد اندفع جسده إلى الأمام ، وكأن هناك مغناطيسًا يجذبه نحو السُلَّم الصغير المصنوع من الحبال ، ولم تكد أصابعه تمس طرف السُلم حتى قبض عليه بقوة مذهلة ، وتدلَّى منه معلقًا بذراع واحد ، وجسمه يتمايل بشدة مع الرياح ...

مضى جزء من الثانية ، قبل أن يقذف (أدهم) بذراعه الأخرى ليتعلَّق بالسُلم ، ثم واصل صعوده حتى أصبح داخل الطائرة ..

صاحت (منى) بانفعال :

ــ حمدًا لله .. لقد كاد قلبى يتوقَّف عندما أفلتت يدك من السلم .. كيف نجحت فى التعلُّق به مرة ثانية ؟

هزَّ رأسه بحيرة ، ثم ابتسم وهو يقول :

ـــ لست أجد جوابًا لذلك يا عزيزتى .. إنها إرادة الله (سبحانه وتعالى) فحسب .

ثم أزاحها برفق وجلس أمام عجلة القيادة قائلًا :

ـــ سنحاول الآن أن نسبق القطار إلى النقطة التى اخترناها مسبقًا يا (منى) .. ولو نجحنا سنكون قد وضعنا حدًّا لمشكلة الشحنة الملعونة .

* * *

زأر محرِّك الطائرة الصغيرة ، وكأنه يعترض على السرعة التى يجبره (أدهم) على الانطلاق بها ، ولكنه أطاعه باستسلام ، وواصلت الطائرة انطلاقها ، حتى حلَّقت فوق منحنى غاية فى الخطورة ، تسير إلى جواره قضبان القطار الحديدية ، يطل على هُوَّة سحيقة ، تنتهى بأكثر أجزاء بحر الشمال عمقًا ووعورة ..

تخلَّى (أدهم) عن عجلة القيادة لـ (منى) ، وأحكم رباط المظلَّة حول كتفيه وساقيه ووسطه وهو يقول :

ـــ عليك القيام بدورة واسعة أيتها النقيب ، ولكن بسرعة ، فسيصل القطار إلى هنا بعد سبع دقائق تقريبًا ، أما القاطرة فستعبر المنحنى بعد دقيقة واحدة .

قالت (منى) بقلق :

ـــ ألا تظن أن الهبوط بالمظلَّة يشتمل على كثير من الخطر ، وخاصَّة فى مثل هذه المنطقة الوعرة ، وهذا الوقت من الليل .

ابتسم ببساطة وهو يتناول حقيبة صغيرة ، ويفتح باب الطائرة قائلًا :

ـــ لقد هبطت بالمظلات كثيرًا يا عزيزتى فى وضح النهار وظلام الليل ، ولكنها فرصتى الأولى للهبوط فى ليل تزينه شمس منتصف الليل .

وضحك بسخرية وهو يلقى بنفسه من باب الطائرة ، دون أن يتردَّد لحظة واحدة ..

شعر (أدهم) بالرياح القوية الباردة ، وبأطرافه تتجمَّد ، ولكنه لم يدع المجال لمخاوفه ، بل جذب حبل المظلَّة

التى انفتحت بقوة ، وجذبتها الرياح بعيدًا ، ولكن أيدى (أدهم) الخبيرة المدرَّبة جذبت حبال المظلَّة بدقَّة ومهارة ، أجبرت المظلَّة على الانصياع لرغبته ، فهبط فى النقطة التى أرادها تمامًا ، وأسرع يحل أحزمة المظلَّة من حول جسده ، وتركها تسقط فى الهُوَّة السحيقة ، وهو يسرع نحو القضبان ، فى نفس اللحظة التى عبَرت أمامه فيها القاطرة بسرعة رهيبة .

أخرج (أدهم) من الحقيبة الصغيرة أربع أسطوانات مفجِّرة ثبَّتها بواسطة القرص المغناطيسى فى قضيبى القطار ، ثم أخذ يعدُو مبتعدًا عن المنطقة ، وتوقَّف على بعد مائة متر تقريبًا ، وأخرج مسدسه وهو يقول لنفسه بلهجته الساخرة :

ـــ من المؤسف ألا تشاهد عزيزتنا (سونيا جراهام) فشلها بعينها .

وصل إلى مسامعه صوت القطار وهو يقترب ، وقد انخفضت سرعته إلى ما يقرب من المائة كيلو متر ، بعد

انفصاله عن القاطرة ، فصوَّب مسدسه إلى أسطوانات المفجِّر بإحكام وهو يقول بسخرية ، وكأنه يحدث رجلًا آخر :

ـــ تُرى .. هل يمكنك إصابة المفجِّر على بعد مائة متر يا عزيزى (أدهم) ؟

ثم ضحك بسخرية ، فقد كان يعلم أنه قادر على ذلك تمامًا .. كانت ثقته بقدراته تفوق الحدّ .. كانت ثقته عارمة تليق بمن يحمل لقب .. (رجل المستحيل) ..

وفى نفس اللحظة التى قرَّر فيها (أدهم) الضغط على الزِّناد ، وصل إلى مسامعه صوت مدفع رشاش ينطلق ، وصوت رصاصاته ترتطم بجسم معدنى ، فرفع رأسه إلى السماء فى حدَّة ، واتسعت عيناه جزعًا عندما رأى ما يحدث فوقه ..

كانت هناك طائرة صغيرة أخرى ، تطارد الطائرة التى تقودها (منى) فى إصرار ، ومن بابها برز مدفع رشاش لا يكف عن الانطلاق ، وخلف زناده وجه مألوف ، دفع (أدهم) إلى أن يهتف بلا وعى :

ــ يا إلهى !! (سونيا جراهام) ؟!!!

* * *

كان موقفًا شديد الخطورة لا يحسد عليه (أدهم صبرى) .. فالقطار يقترب من النقطة المطلوبة ، وسيعبرها بسرعة ، و (سونيا جراهام) تطلق رصاص مدفعها الرشاش على طائرة (منى) بسخاء ، والوقت يمر بسرعة .. بسرعة رهيبة .

خفق قلب (أدهم) بشدة .. كان أمام خيارين أحلاهما مرٌّ للغاية .. إما أن يخسر المهمة .. أو يفقد زميلته (منى توفيق) ، التى تحتل فى قلبه مكانة خاصة .

التفت بحدَّة إلى القطار الذى اقترب إلى درجة خطيرة ، ثم عاد ينظر بحنق إلى طائرة (منى) ، التى تحاول الإفلات من مطاردتها بيأس ، و (سونيا) التى تطلق النار بحنق وغلّ .. وشعر بغضب عارم يملأ نفسه ، وبكيانه يرتجف من الغيظ .

شعر بمرارة شديدة تصاعدت من قلبه إلى لسانه

وشفتيه ، وقفزت من أعماقه صيحة غضب هائلة ، ارتجفت لها ثلوج المكان ، وتحرَّكت يده بسرعة مذهلة ، وضغطت أصابعه على الزّناد فى تصميم رهيب .

* * *





١٤ ــ عملاق الثلوج ..

قالت (سونيا جراهام) ، فتاة المخابرات الشرسة الحسناء ، فى تقريرها المختصر الذى قدمته إلى مخابرات دولتها المعادية لمصر ، أن ضابط المخابرات المصرية (أدهم صبرى) الذى يطلقون عليه فى دولتها لقب (الشيطان المصرى) ، قد أتى عملًا أقل مايوصف به هو أنه خارق لكل القواعد والقدرات المألوفة ، وحتى المهارات الخاصة المعروفة عن البشر .. واعترفت أن هذا الضابط المصرى يفوق بقدراته جهاز مخابرات دولتها بأكمله ..

فقد أطلق الرصاص على حدّ قولها من مسافة تقدر بنحو الأمتار المائة ، فى تسديد مذهل ، ليصيب عبوة ناسفة على شريط القطار ، الذى كان يحمل شحنة اليورانيوم ، محدثًا انفجارًا هائلًا ، أدّى بالقطار إلى الانحراف عن مساره ، والسقوط فى الهوّة السحيقة ، فى نفس الوقت الذى أخذت عرباته تنفجر فيه واحدة بعد الأخرى ، بطريقة تؤكد أنها

قد زوّدت بشحنات ناسفة مسبقًا .. وانتهى الأمر بتحطُّم القطار تمامًا ، وتدمير الشحنة عن آخرها ، وغرق بقاياها فى أشد مناطق بحر الشمال عمقًا ووعورة ..

ولكن الأكثر مدعاة للذهول ، هو أن (أدهم صبرى) بعد إطلاقه الرصاصة الأولى ، التى حطَّمت شريط القطار بجزء على عشرين من الثانية ، وربما أقل ، استدار بسرعة يؤكد علماء القدرات البشرية استحالتها ، وأطلق ثلاث رصاصات متوالية بسرعة على طائرة (سونيا) ، التى تطارد طائرة فتاة المخابرات المصرية بسرعة وإصرار ، فأصاب خزان البنزين فيها برصاصة ، وحطَّم محرِّك الجناح الأيمن بالرصاصتين الأخريين ، مما أدى إلى فقدان السيطرة على الطائرة ، واشتعال النار فى ذيلها ، مما كان معه من المحتَّم سقوطها فى البحر ، وقد لقى قائدها مصرعه ، ونجحت (سونيا جراهام) فى النجاة بأعجوبة .

* * *

ولو أننا عدنا إلى اللحظة التى حدث فيها ذلك ، فسنجد أن (منى) قد أصيبت بالذهول مما حدث ،

فتطلَّعت بدهشة عارمة إلى طائرة (سونيا جراهام) ، وهى تهوى مشتعلة فى بحر الشمال ، ثم انطلقت من حنجرتها صيحة انتصار عظيمة ، وهى تهتف مقاومة دموع الفرح التى انهمرت غزيرة من عينيها :

ـــ لقد فعلتها .. لقد فعلتها مرة أخرى يا (أدهم) .. لقد حققت انتصارًا جديدًا رائعًا يا (رجل المستحيل) .

ولم يكن (أدهم صبرى) نفسه أقل دهشة مما حدث ، فقد تطلَّع إلى مسدسه الذى ينبعث الدخان من فوهَّته ، فى قبضة يده ، وربَّت عليه براحته اليسرى ، وهو يقول فى سخرية عجيبة ، وكأنه يحدِّث صديقًا عزيزًا :

ـــ عجبًا .. كيف نجحنا فى ذلك يا صديقى العزيز ؟

ثم رفع رأسه إلى السماء ، وابتسم براحة وسعادة عندما شاهد طائرة (منى) تدور حول المكان ، ولوَّح لها بيده التى تحمل المسدس ، وهو يقول فى سخريته المألوفة :

ـــ فلنؤجل إجابة هذا السؤال حتى نعود إلى مصر يا صديقتى .. هذا إذا ما وجدنا له إجابة مقنعة .

وبمهارة شديدة هبطت (منى) بالطائرة إلى أدنى ارتفاع ممكن ، وألقت نحو (أدهم) بالسُّلَّم الصغير المصنوع من الحبال القوية ، دون أن يراودها الشك لحظة فى أنه قادر على التعلُّق به ، والصعود إلى الطائرة ، بنفس البساطة التى يصعد بها شاب رياضى سُلَّم منزل صغير ، مكوَّن من ثلاث درجات على الأكثر .

* * *



١٥ ـــ الختام ..

وضع مدير المخابرات المصرية على سطح مكتبه التقرير الذى قدمه إليه (أدهم) ، بعد أن انتهى من قراءته ، وابتسم وهو يهزُّ رأسه بإعجاب ، ويخلع منظاره الطبِّى ، ثم رفع رأسه يتطلَّع إلى (أدهم) و (منى) بنظرات واضحة الإعجاب ، ومضى ينقر بأصابعه على مكتبه فترة تبادل فيها الجميع الصمت ، قبل أن يقول بلهجة حرص على أن يجعلها تبدو هادئة عادية :

ـــ إنجاز رائع أيها المقدم وأيتها النقيب .. لقد لقَّنتما المخابرات المعادية درسًا قاسيًا ، بنجاحكما المذهل فى هذه المهمة .

ابتسمت (منى) بخبث ، وهى تقول :

ـــ الجزء الأعظم من هذا النجاح يعود إلى سيادة المقدم يا سيِّدى .

ابتسم (أدهم) وهو يقول :

ـــ لم أكن لأحقق هذا النجاح ، لولا قيادتك الماهرة للطائرة أيتها النقيب .

ابتسم مدير المخابرات فى أعماقه ، وهو يلمح نظرات الإعجاب والودّ المتبادلة بين (أدهم) و (منى) ، ولكنه حرص ألّا تبدو هذه الابتسامة على شفتيه ، وهو يتناول التقرير ، ويسأل (أدهم) بجدّية :

ـــ هناك نقطة تحيّرنى فى تقريرك هذا أيها المقدم .

نظر إليه (أدهم) بتساؤل واهتمام ، فاستطرد قائلاً :

ـــ كيف أمكنك إصابة الشحنة الناسفة وطائرة (سونيا جراهام) ، فى أقل من ثانية وبدقّة بالغة ، برغم المسافة الكبيرة التى كانت تفصلك عن كل منهما ؟

هزّ (أدهم) كتفيه بحيرة ، ومطّ شفتيه وكأنه عاجز عن الإتيان بجواب مقنع .. فأسرعت (منى) تقول :

ـــ إن الإنسان العادىّ تزداد قدراته مع الشعور بالخطر يا سيّدى ، كما تعلّمنا فى دروس المخابرات ، وأعتقد أن

ذلك يكون بسبب زيادة إفراز مادة الأدرينالين فى جسمه .. فما بالك برجل فى قدرات المقدم (أدهم صبرى) ؟!!

ابتسم مدير المخابرات على الرغم منه ، وتطلّع (أدهم) إلى (منى) بنظرة مرحة ، وهو يرفع حاجبيه إلى أعلى ، فشعرت هى بالخجل ، وتخضّب وجهها احمرارًا ، فخفضت وجهها وهى تقول :

ـــ لا تنسَ يا سيّدى أنكم تطلقون على (ن ـــ ١) لقبًا خاصًّا .

ضحك مدير المخابرات ، وقال :

ـــ أنت محقّة أيتها النقيب .. ولكن لدىّ سؤال آخر .. كيف نجحت (سونيا جراهام) فى الهرب من رجال (فريدريك أبسن) بعد أن نبّهتهم أنت يا (أدهم) إلى مصرعه على يديها ؟

ابتسم (أدهم) بمكر ، وقال :

ـــ لو أننى فى مكانها يا سيّدى لصرخت ، أؤكد أن الأمر خدعة ، وأن (أدهم صبرى) هو الذى قتل (فريدريك أبسن) ، بدليل أنه يعرف مكان جثته .

صمت مدير المخابرات لحظة مفكّرًا ، ثم قال :

ـــ هذا منطقى .. ولكن كيف لحقت بكم بالطائرة الأخرى ؟

قال (أدهم) بجدّية :

ـــ إن (سونيا جراهام) ذكية وشرسة للغاية يا سيّدى ، ومن السهل عليها التفكير بعقولنا والوصول إلينا .

ابتسم مدير المخابرات وهو يتناول التقرير ويوقّعه ، ثم يدفع به إلى أحد أدراج مكتبه وهو يقول :

ـــ إن الكلمات لا تسعفنى للتعبير عن امتنان مصر تجاهك أيها المقدم ، ولكن الجميع يعلمون مدى ما تتمتع به من قدرات خاصة .

ونهض وهو يضع منظاره أمام عينيه مكمّلاً :

ـــ إننا لم نطلق عليك عبثًا لقب (رجل المستحيل) .

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦١٩

صدر من هذه السلسلة :

رجـل المستحيل